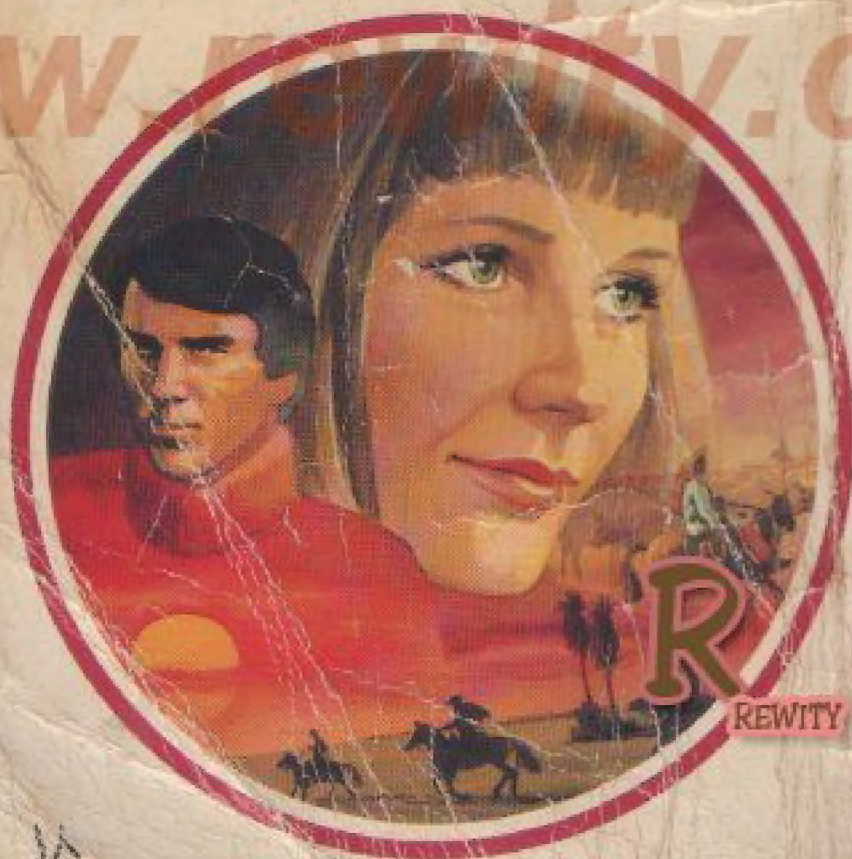


روایات عبر



کاعی شورب

بَیِّنَ السَّکُونِ وَالْعَاصِفَةِ



روايات عبر

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 18

بين السكون والعاصفة

وجدت ليان نفسها في بوينس آيرس بلا مال ولا صديق ووفعت في ورطة لم يتفادها منها سوى ريكاردو مندوزا . فاعتبرت أنها مدينة له بانقاذها . وأوضح لها ريكاردو أن بإمكانها ردة الدين والحصول على عشرة آلاف جنيه بالإضافة الى ذلك . لكن الشرط الذي وضعه ريكاردو مندوزا يقضي بأن تنزوجه ليان زواجا سوريا لمدة ستة أشهر كي ينتزع الارث من أخيه غير الشقيق...

وعندما وافقت مرغمة وجدت نفسها أمام عالم عنيف لم تشهد مثله من قبل . فهل تبقى في تلك المزرعة أم تفر مع أول منقذ يعرض عليها الفرار ؟

R

REWITY

السودان ٧٠٠ م	اليمن ٨ ر	الكويت ٧٠٠ ف	لبنان ٨٠٠ م
U.K. £ 1	تونس ١ د	الامارات ٩ د	البحرين ٩٠٠ ف
France F 10	ليبيا ٧٠٠ د	الجزيرة ٩٠٠ ف	قطر ٩ د
Greece Drs 120	الغرب ٨ د	عمان ٩٠٠ ب	البحرين ٨ د
Cyprus P 1	مصر ٧٠٠ م		

امراة بلا مخالب

١ - ماذا يريد ريكاردو ؟

الأرجنتيني كان يتحدث بالأمسيانية ... قصده تجاوز جهلها اللغة ، وقهمت
قصده فدققت بيدها الشراب الذي لم تمسه بعيدا عنها وهزت رأسها وهي تنهض
تسوي هدامها بيديها في رباطة جأش مفاجئة. وقالت له:

وتنفض هو الآخر وعلى وجهه معالم الحيرة لا الغضب. وراح يتساءل في صوت
مرتفع عن سبب تصرفها. وأخذت الأنظار تتجه نحوها من اللواتك المجاورة . وقد
تلا الاهتمام حول تلك الفتاة الانكليزية الشابة النحيللة القوام ذات الشعر
الرملي المصنف على شكل ناقوس. واستلقت نظر رجل يجلس أمام مائدة
مطلية أخذ يرمقها بسخريه. كانت تعرف في وضوح ما الذي يفكر فيه... تماما كما
يفكر الرجل الجالس في مواجهتها على الطرف الآخر من المائدة... أه ما أشد غبايتها
ثم تذكر أي مكان كان ذاك وأي شيء كان يرجى منها، فهي ليست في موطنها
لكن بل غريبه في بونبوس ايرس، مدينة أجنبية في أرض أجنبية. ولم تشعر ليان
بوحدة عارمة كما أحست في تلك اللحظة.

وراح الأرجنتيني يستحثها لتعود الى مكانها وقد خفض من صوته في حين
أضحت ليان تبحث عن كلمات تبلفه بها بأنه مخطيء، ولكنها لم تعثر على شيء
مناسب مقتضى الحال. تراهي ها - وهي على حافة الجنون - أن كتب التعبير
الغري لم تتسع لمثل هذه المواقف.

وتصورت أن في استطاعتها أن تستدير ببساطة وتبتعد عنه، ولكنها شكت في

امراة بلا مخالب

أن يكون الأمر يمثل هذه السهولة. واجتذبتها مرة أخرى حلقه الرجل الجالس على المائدة المجاورة. وتنفس في عمق ويطه قبل أن تسأل:

«هل نتحدث الانكليزية؟»

فرغ أحد حاجبيه السوداوين وأجابها بلغة انكليزية ممتازة ولكن بنبرة ضاغطة على الكلمات لتأكيدهما:

«نعم... هل تريدني مني أن أترجم لك؟»

لهزت رأسها وهي تبتسم أن تكون في أي مكان آخر غير هذا المكان. وقالت له:

«سأكون شاكرة لك إذا أوضحت له أنني لست في متناول يده بالصورة التي يظنها. فهناك خطأ في الأمر»

فسألها وقد ازداد حاجبه ارتفاعاً:

«إنك تعملين في هذا الملهى... أليس كذلك؟»

فقال وهي في شدة الحرج والارتباك:

«نعم، ولكن ليس في هذا المجال... أرجوك ياسينور...»

وتركت بقية العبارة مخفية وتلاشى واضعة في اعتبارها أن غالبية الجالسين

على الموائد المجاورة تلتفت إليها. وغاص قلبها في صدرها وهي ترى صاحب

الملهى يتجه نحوها وسط الصالة المزدهجة التي يملأها الدخان. وقد اجتذبتها

بلاشك تلك الجلبة الخافتة. إنه الرجل اللاتيني البدين الأصلع، الذي تشعر نحوه

بالامتنان الشديد لأنه منحها عملاً. فلماذا تراه الآن في تلك الصورة المختلفة؟

عرفت طبعاً الاجابة على هذا السؤال. إذ كان الرجل يعرف السبب الذي من

أجله ألحقها بهذا العمل. وإن كانت هي نفسها لم تدرك هذا السبب من قبل.

كان يرى من السلم به مع كل الاحتمالات أنه لااعتراض لديها على أن توسع

من نطاق عملها كضيفة ليشمل كل نواحي الترفيه عن الزبائن... ساذجتها

للضحكة هي التي وضعتها في هذا الموقف.

وهو الرجل الجالس على المائدة المجاورة كضيف استهجاناً وكأنه استجاب

لرجلها بدون أن يصدقها، وتحدث الى جليساها بالاسبانية وبسرعة وطلاقة حتى أنها لم تستطع أن تلتقط سوى كلمة هنا وهناك. وأنهى كلامه في اللحظة عندما

وصل صاحب الملهى. وترك جليساها ينظر في عدم ارتياح، مدركاً أن بعضاً من

سب القهم قد حدث. واتجه الى صاحب الملهى يتحدث اليه في ألفة وتودد.

وتحول في ثوان الى رجل وديع يتذلل ويقول:

«الشرطة ياسينور مندوزا.»

وتجاهل صاحب الملهى الرجل الجالس على الطرف المقابل من المائدة وجذب

ليان من قراعاها ليرغمها بالقوة على الجلوس الى مائدة الرجل الآخر. وهو

يطلق بالزيد من عبارات الأسف والاعتذار، وتركها حيث هي ثم اتجه الى

جليساها السابق وطرده.

والثقت عينا ليان اللتان أصابها شيء من الانبهار بالعينين السوداوين

التي أخذتا تظفران اليها بازدياد غير مستتر. ولم يكن وجهه مما يعيد الطمأنينة

الى نفسها وله قسبات مشدودة ومتوترة ولونه زيمتوني غريب. يعلوه رأس متحجر

سلس. وله شعر أسود فاحم، يرتدي سترة بيضاء على كفتين عربيتين. ومن المؤكد

أن القمص تحتها من الحرير الطبيعي. كان رجلاً طويلاً نحيلاً يتمتع بالقوة او

القوة قد أدخل الخوف الى نفسها لبعض الوقت. وخرجت عن صمتها قائلة:

«أنتي لا أعرف بالضبط ماذا قلت له، ومع ذلك فأنتي أشكرك لانقاذي.

وبالتحديد بسيطة من رأسه تتم عن سخرية قال لها:

«لماذا كان مظهر الرجل لم يعجبك فلم قبلت صحبته من البداية؟»

تتظب حينها في ضيق وقالت:

«كان يبدو لطيفاً. وهذا هو عملي أو كذلك ظننت.

وفي لحظة تسم بالشك. لم تستطع ليان أن تلومه عليها. قال لها:

«هل أنهم لك محاولين القول بأنك لم تكوني على علم بمتطلبات عملك هنا؟ ربما

تكونين جئت حديثاً الى الأرجنتين؟»

وهزت اليه نظرة تم عن الصراحة والسذاجة وقالت:

امراة بلا مخالب

«حقاً... يمكنني القول بأنه لا عذر للغباء، ولكنني اعتقدت في الحقيقة أن هذا العمل يتطلب مجرد الجلوس مع الزبائن وإظهار المودة نحوهم. فذلك هي متطلبات مثل هذا العمل في البلد الذي جئت منه.

ويدون أن يطرأ تغير يذكر على تعبيرات وجهه سألها: «وهل سبق لك القيام بمثل هذا العمل في وطنك؟»

فأجابته:

«لقد كنت به مرة، إلا أن الملهى حيث عملت كانت له تعليقات صارمة تحظر مخالطة المضيفات للزبائن خارج نطاق الملهى وملحقاته.»

وابتمس ابتسامة باهتة ظهرت معها للحظة أسنانه البيضاء وقال:

«وهنا أيضا يطبقون النظام نفسه. فهناك في الطابق العلوي غرف خاصة لأداء الغرض المطلوب.»

وأستكت خديها الدافئتين بيديها وهي غير قادرة على مواجهة نظراته المتفحصة الساخرة وصاحت قائلة:

«باربي... كان يجب علي أن أدرك أن هذا العمل عرض ممتاز جداً للدرجة التي أشك في حقيقته، فالوصول على عمل مع مأوى يبدو وكأنه مئة من السماء وأنا في الواقع...»

وأطرفت برأسها عندما جال بذهنها خاطر معين، ورفعت رأسها وهي تنظر إليه وتقول في تردد:

«هل لي أن أسألك عما قلته لهذين السيدين؟»

وظهرت روح المرح عليه وإن كانت ممزوجة بقدر من الازدراء، وأجابها بقوله:

«بكل تأكيد... أبلغتها أنني اشتريت وقتك لهذه الليلة.»

وسألته وقد أصابها صدمة وهي لا تكاد تصدق: «هل فعلت هذا؟»

فرد عليها قائلاً:

«حقاً... يمكنني القول بأنه لا عذر للغباء، ولكنني اعتقدت في الحقيقة أن هذا العمل يتطلب مجرد الجلوس مع الزبائن وإظهار المودة نحوهم. فذلك هي متطلبات مثل هذا العمل في البلد الذي جئت منه.

ويدون أن يطرأ تغير يذكر على تعبيرات وجهه سألها: «وهل سبق لك القيام بمثل هذا العمل في وطنك؟»

فأجابته:

«لقد كنت به مرة، إلا أن الملهى حيث عملت كانت له تعليقات صارمة تحظر مخالطة المضيفات للزبائن خارج نطاق الملهى وملحقاته.»

وابتمس ابتسامة باهتة ظهرت معها للحظة أسنانه البيضاء وقال:

«وهنا أيضا يطبقون النظام نفسه. فهناك في الطابق العلوي غرف خاصة لأداء الغرض المطلوب.»

وأستكت خديها الدافئتين بيديها وهي غير قادرة على مواجهة نظراته المتفحصة الساخرة وصاحت قائلة:

«باربي... كان يجب علي أن أدرك أن هذا العمل عرض ممتاز جداً للدرجة التي أشك في حقيقته، فالوصول على عمل مع مأوى يبدو وكأنه مئة من السماء وأنا في الواقع...»

وأطرفت برأسها عندما جال بذهنها خاطر معين، ورفعت رأسها وهي تنظر إليه وتقول في تردد:

«هل لي أن أسألك عما قلته لهذين السيدين؟»

وظهرت روح المرح عليه وإن كانت ممزوجة بقدر من الازدراء، وأجابها بقوله:

«بكل تأكيد... أبلغتها أنني اشتريت وقتك لهذه الليلة.»

وسألته وقد أصابها صدمة وهي لا تكاد تصدق: «هل فعلت هذا؟»

فرد عليها قائلاً:

امراة بلا مخالب

قال قا وهو يتفحصها بنظرة غريبة:

«نعم كان يجب عليك أن تعرقى. إذا فأنت راقصة... هل أنت راقصة ممتازة؟»

فأجابته:

«أنتى أن اكون كذلك. أنتى على مستوى جيد أتاح لى فى اى حال الفرصة

للحجى الى أمريكا الجنوبية.»

فأجبتهم ابتسامة ساخرة وسألها:

«هل كل زميلات فرقتك ذوات شعر أشقر؟»

فأجابته:

«نعم أعتقد ذلك.»

فقال:

«أنا فارتض لست له سوى أهمية بسيطة.»

وسأله عما يقصده فأجابها بقوله:

«هل سارت الوصول اليه هو أن مواطنى بلدى سوف يحتفظهم المنظر وحده بغض

المنظر عن مستوى الموهبة. ويدفعون الثمن تبعاً لذلك. فاللون الأشقر الطبيعى

نادر فى هذا الجزء من العالم.»

فأجبت عينا ليان وهي تقول له:

«أنا راقصة محترفة باسمبور.»

فقال:

«لا أشك فى هذا. ولكننى لا أعتقد فى امكانك الرقص مع أى فرقة ذاتمة

القصبة. شاهدت فرقة بلوبيل غيرلز فى ريو دي جانيرو منذ فترة وأعضاء تلك

الفرقة يستعمن بالجمال والموهبة. ولكنك لم تدعين للانضمام اليهن.»

فأجابته:

«أنا لست هيفاء القوام بالدرجة التى تجعلنى صالحة للانضمام الى فرقة بلوبيل

غيرلز.»

وتركته يمشى فيها بعض الوقت ثم قالت فجأة:

وهزت ليان رأسها وهي لا تريد أن تصدقه. وتجاوز على عدم تصديقه وراحت

تستعطفه فى صوت خفيض:

«أرجوك. أنا لست من ذلك النوع الذى تفكر فيه. كنت تائهة وبائسة عندما قبلت

هذا العمل. ولم يكن أمامى ما أفعله غير هذا.»

وأخرج عليه سكاثر ذهبية أخذ منها سيكارا رقيقاً ووضعها بين شفتيه ثم

أشعل القداحة وأخذ الدخان يتصاعد بينهما لبعض الوقت. ثم قال:

«عليك إذن أن تروي لى القصة كلها. متى جئت الى بونيويس أيرس لأول مرة؟»

فأجابته:

«جئت أمس.»

ولاحظت دهشته فأسرعت تكمل كلامها:

«كان مفروضاً أن ألقى بفرقة الرقص وهي تزدي عرضها فى ملهى ريبوس وعندما

وصلت الى هنا كانت الفرقة قد رحلت لغوها الى بورتو ألفري. لقد أخطأت

الوكالة فى تحديد موعد السفر.»

فسألها قائلاً:

«ألم يكن فى مقدورك اللحاق بها فى بورتو؟»

فأجابته:

«لم يكن لدي ما يكفى من المال لتحمل نفقات الرحلة كما أنتى لم أتمكن بعد من

الاتصال تليفونياً بالوكالة فى لندن.»

وكان من الصعب معرفة رد الفعل لدى مندوبها الذى سأله:

«هل ذهبت الى اتصالية بلدك؟»

فأجابته:

«حاولت ذلك اليوم ولكنها مغلقة بسبب عطلة نهاية الأسبوع ولا يتوافر معى

المال لأقضى وليلة واحدة فى أى فندق. ولهذا فأنا ريبوس عندما عرض على

أن أعمل كمضيفة هنا فى الملهى مع منحنى غرفة سارعت بقبول العرض. ولكن

كان يجب على. كما قلت أن أعرف المزيد عن هذا العمل.»

امراة بلا مخالب

«لكنني في أي حال لست عضوا في تلك الفرقة... وليست غلطتي أن الوكالة أرسلتني إلى المكان الخطأ»

فصيح لها كلامها قائلاً:

«المكان المناسب في الوقت غير المناسب. وهل كان عليك أن تحليّ مكان شخص آخر»

فدالت:

«نعم كان لابد أن تعود إحدى الراقصات إلى الوطن بعدما سقطت نقطة شديدة، وستكون الفرقة ناقصة الآن. ولكن هذا لا يهم في ضوء ماقلته لي. أليس كذلك؟»

فرد عليها قائلاً:

«لا تخاطبيني بهذه اللهجة، الحقيقة مؤلمة، ولكن لا داعي للسخرية أنك لست الآن في وطنك أنكلكرا».

وكتمت ليان الرّد الحاد الذي قفز إلى شفيتها. فقد كان على حق، ولم تكن هي كذلك. وهي في تلك اللحظة بالذات ليست في وضع يسمح لها أن تضايقه لأكثر من هذا ولم يكن الاعتذار ليفيد كذلك، فلزمت الصمت وقد بدا عليها الاستعاض.

وقال لها:

«لك قدرة على التعلم بسرعة. وتلك دلالة لا بأس بها».

وأطرق غنيمة قبل أن يسألها في نبرة مختلفة:

«ألم تعترض أسرتك على سفرك وحدك إلى هذا المكان البعيد؟»

فأجابته:

«ليس لي أسرة، نشأت في دار للأيتام».

واكتسب صوته حزمًا وهي تقول:

«أنا الآن في الثانية والعشرين من عمري وأستطيع السفر وحدي وقد فعلت ذلك غير مرّة».

فقال لها:

«ولكنك لم تسافري إلى مكان بعيد كهذا من قبل. وعندما تلتقيين من العمر مائتته بعد عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة قد تدركين أن الاستقلال لا يحتقّق لأشئ سوى القليل».

فردت عليه قائلة:

«خلال عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة سأكون قد تخطيت الفترة التي يمكنني فيها أن أعبأ بهذا».

وطرت بصرها في أرجاء الصالة ذات الضوء الخافت والمزدحمة بالموائد المتقاربة والقرينة بالديكور المبهرج.

وأخذت الموسيقى تصدح بالألحان اللاتينية الأمريكية ليرقص على أنغامها الزبائن الذين اكتظت بهم منصة الرقص.

وكان صوت الموسيقى يكاد يعلو على أصوات الزبائن ورأت زميلات المضيفات يجلسن الزبائن على الموائد المنتشرة هنا وهناك.

وسألها قائلاً:

«هل انتعت بما قلته لك؟»

فأجابته وهي تنظر إليه:

«انتعت جزئياً ومازلت أعتقد أن في امكاني الخروج من هنا في أمان إذا قررت».

فجز كتفيه استخفافاً وسألها:

«وإذا فعلت إلى أين تذهين؟ فأنت باعترافك ليس لديك المال الكافي وأسعار التذاكر باهظة».

فدالت:

«لن أتي ما يكفي من الليلة وربما الليلة القادمة أيضاً إذا ما عسرت على فندقك لرخص قليلاً. فلا بد أن تكون هناك فنادق رخيصة».

فرد عليها في ضيق:

«هذا الكثير منها ولكنها لا تصلح لأية امرأة تفتقر إلى الحماية، إن المشكلة سوف تجد الحل في الوقت الملائم. وحتى يمين هذا الوقت يشرقني أن تظهرني يظهر من

امراة بلا مخالب

يستمتع بصحبي.

وألقى ببقايا السيكار في المطفأة وقال لها:

«تعالى ترقص قبل أن أطلب الشراب».

ولم تتحرك ليان وقالت له وهي على حافة اليأس:

«سنيور مندوزا، يبدو أنني لم أستطع أن أوضح لك أنني غير مستعدة لقبول حمايتك على أساس تلك الشروط، كما أنني غير مستعدة للبقاء هنا والعسل لحساب ريموس. أنا ذاهبة الآن أحزم أمتعتي وأرحل، وإذا حاول أي شخص منعي سأستدعي البوليس».

«من الأفضل إذا أن تفعل ذلك الآن لأنني سوف أمتنع».

وانتظر رد فعلها ولكنها لم تترك مقعدها فقال لها:

«أنت من الحكمة بحيث لاتتحدثيني. سترقص معا كما قلت لك».

وكانت قامت أطول مما كانت تظن. وأحست وهو يرافصها بقوة وخشونة يده مما أدهشها لأن هذا الرجل اعتاد أن يكون في مركز الامر النهائي لا أن يقوم بعمل بدوي. وسألها عن اسمها فقالت:

«ليان... ليان تريغور».

فنطق بالاسم بصوت ينم عن الرضا والقبول وقال لها:

«أنت اسم غير عادي بالنسبة الى فتاة انكليزية ولكنه جذاب، أنا ريكاردو مندوزا».

فردت عليه بالنحية وأحست بارتعاشة خطيرة في صوتها فتخلت عن أي تظاهر بالمرح وقالت له:

«أرجوك... هل لنا أن نوقف هذه اللعبة اسوف أرجو مساعدتك لي ياسنيور مندوزا ولكن ليس...».

وعندما ترددت أكمل هو كلامها قائلاً:

«ولكن ليس مقابل الثمن الذي أنت متأكدة أنني سأطلبه. هل دار بخاطرك أنني قد لا أجد في جوانب سحر الانكليزي شيئاً لايقاوم مثلاً فعل جليستك السابق؟»

التي أفضل امرأة دافئة ومتجاوبة، وليست باردة كالثلج».

وسأله بجفاء عقوي:

«هل أنت احتفظت إذا برفقتي؟».

فأجاب:

«كنت تلك الوسيلة الوحيدة التي تتيح لي أن أساعدك. ولقد باعرت أنت بطلب المساعدة. ويمنحك ابهاها جعلت من نفسي مسؤولاً عنك... وأنا لم أهد في أي وقت أية رغبة في قضاء الليل معك، هذا من نسج خيالك. وربما تلقيت درساً أنت في أسوأ الحاجة اليه إذا، أرغمتك على أداء المهام التي أنا مؤهل لها. وسوف يرحب ريموس كثيراً بتوفير المكان لي».

فكانت بصوت خفيض:

«أنتي أسفة... لقد أسأت اللهم».

ومضى يقول لها:

«مع هذا ما فعلته، ولكن لا تكرري ذلك. قلت أنك ترجين بمساعدتي لك وسوف تكون هذه المساعدة ولكن بشرط أن تفعل ماأطلبه منك بالضبط فهل توافقين على ذلك؟».

وكانت الشكوك مازالت تراودها الا أنها كانت مضطرة لأن تثق به، فلا خيار

لها.

وأجابته بقولها:

«مع... ماذا تقترح؟».

فرد عليها قائلاً:

«حيا بعد».

وفي تلك اللحظة تغير الايقاع الموسيقي فقال لها:

«تستجيبين استجابة جيدة لموسيقانا، فهل تشعرين أنها تحرك وترأ في داخلك».

فكانت:

«أظن ذلك. ايقاع يجعلك ترغب في التوافق الحركي معه. إنك ترقص بمهارة

امراة بلا مخالب

ياسنيور»

وأخني رأسه قليلا رداً على هذه المجاملة ولكنه قال لها:

«هذه الكلمة سنيور أصلها لاتيني وعليك أن تناديني زيكاردو»

كانت تفضل أن تمسك بكلمة سنيور التي تبدو أكثر أماناً إلى حد ما ولكنها وضعت نفسها بين يديه سواء من أجل الأحسن أو الأسوأ. وقالت وهي تنمني ألا يفضح صوتها خوفها وارتعاشها:

«حسنأ يار يكاردو»

وسألها:

«لو عرض عليك الاختيار بين العودة إلى وطنك والحقاق بزملائك الفنانين فأيهما تختارين؟»

فأجابت:

«أشك إذا كان هناك مجال للاختيار فلقد وقعت عقداً لاتمام الأسابيع الست المتبقية من جولة الفرقة. ولا يحتمل أن يزودوني بأجر أحد المساكن هنا، لأنه ما من مسكن منها يوافقني»

وتنهدت قليلا ثم أضافت:

«وفي أي حال ليس هناك عمل يجعلني أعود إلى الورا، والسبب الوحيد الذي جعلني أقبل العمل في لندن كمضيفة أنني لم أستطع أن أجد عملاً آخر أكسب عيشي منه. فأنا لا أعرف الضرب على الآلة الكاتبة أو مسك الدفاتر أو أي شيء من هذا القبيل»

وسألها:

«ألم تنح لك دار الأيتام وسيلة لكسب العيش بطريقة أكثر استقامة؟»

فأجابت:

«جرت محاولة في ذلك. كانت لي معرفة بالطهي فالتحقْتُ بعمل في مطعم أحد الفنادق قرب منزلي عندما كنت في السادسة عشرة. وكان المفروض أن أتعلم كل

ما يتعلق بتقديم الطعام، ولكن كل ما فعلته هو تنظيم المطبخ ونقل الطعام للزبائن. وتركت المطعم عندما بلغت الثامنة عشرة. وعملت لدى إحدى الأسر في كورنويل حتى أجد لي مخرجاً...»

وتوقفت عن الحديث وقد انتابها الارتباك فجأة. وقالت:

«الآن... ربما لا تريد سماع كل قصة حياتي»

وأجابها وهو يرمقها بنظرة غامضة:

«بالعكس فهذا ما أريده بالضبط هل كنت تعيش في تلك الدار وأنت طفلة؟»

فأجابت:

«كلا كان بيتاً مختاراً. ولم يفتقر أي منا للعطف بل أتيح لي هناك أن أتلقى دروساً في الرقص»

فقال لها:

«ولكن ليس بهدف أن تعمل في هذا المجال»

فجالت لبان وهي تطمحك:

«كلا وأذكر مرة أنني عندما كنت في الخامسة عشرة استفسرت إذا كان في استطاعتي التقدم لأداء دور في المسرح الإيمائي المحلي. فقد كان من عادة هذا المسرح تشغيل أطفال البلدة ضمن الكورس كمنشدين. وقد أصيبت المشرفة على الدار بالرعب لمجرد التفكير في أن واحدة من أطفالها تفكر بالعمل في مسرح للتحرفين»

فسألها:

«ولكن ألم يسمح لك باستخدام موهبتك من وقت لآخر؟»

فأجابت:

«نعم بالتأكيد. كنت نجمة فرقتنا الموسيقية. وألوم المشرفة على الدار بسبب ابتكارها إذ كانت مهمتها إلحاق الحاضرين لرعايتها بأعمال محترمة تدر دخلاً مقبولا. وكل ما في الأمر أنني لم أحمل التفكير في قضاء أفضل سنوات عمري في أعمال جادة مئة»

امراة بلا مخالب

فقال لها ريكاردو في مرج :

«كان يمكنك أن تعجدي زوجاً يخرجك من هذا الوضع أم أنك تعتبرين الزواج أيضاً على الدرجة نفسها من الملل والجدية؟»

فأجابته قائلة:

«لأعرف. انني أفترض أن هذا إما يعتمد على نوع الرجل الذي أتزوج.»

وسألها :

«ألم تفكري أبداً في الزواج؟»

فأجابته :

«فكرت فيه. وأتصور أن كل الفتيات يفكرن في الزواج في مرحلة من مراحل العمر.»

وضحك وهي تقول :

«عندما كنت طفلة في الرابعة عشرة فكرت في روعة الزواج من رجل مثل النجم السينمائي جين كيلي ، غير أنني كنت صغيرة بطبيعة الحال. وفي التاسعة عشرة قررت أن أعطي الأولوية دائماً لعملي. وكنت قد احترقت الرقص قبل اتخاذ هذا القرار بأسبوع. ولم أراجع عن قراري هذا حتى عندما أصبحت فرص العمل متوفرة لي. وكان هذا جيلاً حقاً.»

وسألها:

«لأبد أن يكون هناك رجال رغبوا في مصاحبتك ولاشك أنك لم ترفضي كل

اتصال بهم. أليس كذلك؟»

فأجابته :

«كان لي أصعباب. ولكن أحدا منهم لم يكن جاداً في صحبته.»

وسألها في اصرار غامض سبب لها ضيقاً:

«أليس هناك من ينتظر الاستماع اليك عند عودتك الى لندن؟»

فأجابته في تردد:

«لا ياسنيور...»

تصيح لها الكلام بقوله:

«ريكاردو»

فقلت :

«ريكاردو إذاً»

ورفعت وجهها تنظر الى وجهه. واعتراها احساس غريب بالاضطراب وسألته:

«هلأ تسماني كل هذه الأسئلة؟ ليس ثمة ما يهيك فيما أشعر به أو أفكر فيه...»

وارتفع حاجباه السؤدواوان في عجرفة وقال لها:

«أنا الذي أقرر ما الذي يهمني. أتريدين الجلوس الآن لتناول مشروب؟»

فقبلت لسان برأسها وهي تقاوم الرغبة في الفرار من هذا الرجل. وكانت

أمامها فرصة لتفعل ذلك. وسألته وهي تنظاها بالحزم بينما هي أبعد ما تكون عن

التعجب به:

«هل لي أن أعرف ما الذي تنوي أن تفعله؟ إذا كنت تعرف ريتوس معرفة جيدة

ربما تكفي كلمة منك لاتناعه بخطأه.»

فقال لها في قبول :

«سوف أتحدث مع ريتوس. وإن كنت لا تريدن تناول مشروب فلاهبي لاحضار

أمتحك وسأكون في انتظارك لترحل عندما تكونين مستعدة لذلك.»

فسمته :

«والا اين ستذهب؟»

تنفس في ضيق وقال:

«عليك أن تفعلي ما أقوله لك. أو هل ستمتنعين؟»

فقلت :

«حسن سأفعل ولكن...»

فقال لها:

«لأأفعل ذلك وبسرعة فالوقت يتأخر بنا وسوف تكونين في أمان تام. وهذا ما

أهتد لك.»

وسمعت ليان نفسها بأن تغادر منصة الرقص عندما ضبط بيده أسفل
مرفقها. كانت تشعر باضطراب وفلق وساورها قدر كبير من الشك، ولكن هل
كان أمامها سبيل آخر فبذلها هنا في الملهي أمر بعيد عن التفكير. حتى لو قبل
ريتوس ذلك وكل ما يمكنها فعله أن تذهب مع الرجل الذي أحسن إليها وهي
تأمل أنها تستطيع التصدي لأية مشاعب أخرى قد تواجهها في المستقبل.
ولم يعترض أحد سبيلها وهي تصعد إلى غرفتها في الطابق الثاني، ونظرت
للآن إلى غرفتها بنظرة جديدة ولجنت النظر إلى السرير المغطى بالحري، إنه مكان
على مستوى عال جداً وهو ما يوضح من نوعية الأثاث والديكور، وكان يجب
عليها أن تشعر بهزول لأنها أصبحت أملاً لأن تعمل في هذا المكان. ونظرت إلى
الضخامة هذه المماثلة على وجهها في المرة الشخصية المعلقة فوق السرير وأبست
إبتسامة ساخرة.

عاد إليها لوتيا الطيب من جديد. وكانت تعرف أن لها وجهاً جذاباً ولكنه
قطباً لم يكن على درجة كبيرة من الفتنة. وحلها بعضهم من أن جمال الشعر
والشعر هو نفسه وليس صحة في هذا الجزء من العالم.
وعندها سرياً الشعور بالقلق عندما تذكرت الرجل الذي ينظرها ستكون
في مأمن... هذا ما قاله لها، ولكن كيف لها أن تتأكد من صدق كلامه هذا الرجل
ريكاردو مندورا غريب عنها ليس الشخص الذي يمكن تجاهله بسهولة. وفي
أي حال أدركت أنها تخرج من موقف كرهه لتقع في موقف آخر مماثل. لكنه ليس
أمامها في تلك اللحظة إلا أن تثق فيه.

كان ينتظر عند نهاية السلم الحديدي عندما هبطت أخيراً وهي تحمل حقيبتها
وبحركة من أصابعه استدعى أحد الخدم التي سارع بحمل الحقيبة، وسبقها
نحو الأبواب الخارجية. ووقف ريتوس يراقبها من جانب بعيد في القاعة. وكان
من الصعب معرفة انطباعاته من خلال الجو المظلم بالدخان. وهو أن كان يعترض
على ترك ليان للخدمة لديه فانه بالتأكيد لم يتم بأي تحرك لنمها من الخروج.
وخارج الاثنان من باب خلفي ليضلا إلى شارع خلفي يلفه الظلام والجو الحار.

كانت سيارة أجرة صف متطورة، ومنح ريكاردو بعض المال للخدام الذي حمل
الحقيبة وذلك إلى داخل السيارة خلف ليان. وأعطى السائق اسم أحد
الخدامين.

تحدث ليان الجانب الذي تجلس فيه في المقعد الخلفي وهي محتبة وحذرة
لأن وجودها معها في الظلام، وأحست بالارتباك عندما خرجت السيارة من الشارع
على الطريق لتدلف إلى طريق عام يعج بالناس والسيارات. وكانت الأصوات
للمصحات الأليان تملأ في كل مكان لتبهر الأبصار.
وملاً سمعها صوت الموسيقى المذاعة من الراديو. وسألته وقد فقد صبرها ولم
تد تحتمل مزيداً من التوتر:

«ما الذي قلته لريتوس»

نهر كفيفه استخفافاً وقال لها:

«لم أقل له شيئاً، كان واضحاً عن السباح لك بالتصريف»

«لقد تعرض وجهه الذي تروج بومبيش الاعلانات الضوئية وسألته»

«هل عجبته مالا»

ورد عليها:

«طبعاً، والأ فكيف يمكنه أن يتحمل خسارة مثل هذا الدجل المتطورة»

وارتفع صوته وهو يقول لها بسخرية:

«ريتوس رجل يزن كل شيء بميزان المال، طلب شيئاً غالياً للتنازل عنك»

نصاحت فيه بلهجة يائسة:

«ما تقصيني لا أستطيع أن أرى لك الشئ فوراً على الأقل. هل لك أن تخبرني بالبلغ

الذي أدين لك به»

قال لها وهو يرفع يده لانهاء الكلام في هذا الموضوع:

«لا جدوى من ذلك. وعندما تصلين إلى الفندق سوف تتوجهين إلى غرفتك

باشرة وغدا سيكون وقت للكلام»

فالتفت:

«عن أي شيء تتكلم؟ فعلت من أجل ما فيه الكفاية ولا يمكنني بعد هذه الليلة أن أفرض نفسي عليك أكثر»

فأجابها باللهجة المتعجرفة التي سبق أن تحدث بها في الملهى: «لأننا لا أقفل عن مسؤولية أنجزت نصفها فقط والاتجاه ليني بعد الآن في هذه المسألة أو في غيرها إلا إذا كنت تفضلين البقاء مع ريتوس»

وأم تكن ليان رافقة إذا كان سيعيدنا قطلا إلى الملهى لو رفضت الامتثال لحدوده. ولم تكن هناك وسيلة لفرقة ما يمكن أن يقطعه إذا تعرض لاستفزاز مثير. وبالنظر إلى كل الاحتمالات لا يمكنها أن تقدم على تلك المخاطرة. وتهدت قائلة:

«وهو كذلك... فهبت نفسك وسوف أفعل ما تريد، وخذتها ابتسامته وهو يقول لها:

«لن أطلب منك شيئا يخرج عن حدود امكاناتك، لا أطلب منك إلا أن تطيعيني. النساء الانكليزيات يجهن صغوبة في الحضور لسلطة الرجل. أما هنا ثلاث يتعلمن منذ ولادتهن أن الرجل هو سيدهن. وفي مقابل ذلك يكنسهن حبايتنا واحترامنا. فهل هذه صفقة خاسرة؟»

فردت عليه بعد لحظة:

«لا اعرف أنني أظن أن هذا لما يتوقف على مراجع الأشخاص الذين يعتنيهم الأمر. فأنا نفسي تعلمت أن احتفظ باستقلالي عن الآخرين»
فقال لها:

«قد يرجع هذا إلى طبيعة تشاك ومعرفتك بأن دار الأيتام لن تظل تعريك إلا إلى سن معينة. كنت سنية الحظ لانقذارك إلى أسرة تعيطك بعناية خاصة. وكان ربة الأسرة كفيلا بأن يكيح جناح قرودك قليلا ان لم يكن قماما»

فابتسمت ليان وهي تسأل:

«وهل تظن أن الزوج ربما يفعل ذلك أيضا؟»
فأجابها وقد ارتسم على فيه تعبير ساخر:

«لو كان فيه شيء من الرجولة لما أمكنه أن يجعل حافتك المتحررة. وفي ظل هذه الظروف قد أشعر بالامتنان لأنك على ما أنت عليه»
فالترب حاجبها من بعضها وقالت له:

«أسي لا أنهم ما تقصده...»

فأجابها قائلاً:

«ليس هناك ما يمنحك على أن تفهمي الليلة. قلت لك سوف نتحدث في الصباح»
واستل في جلسته عندما بدأت السيارة تهدي من مرعنها لتتوقف وقال لها:

«عسى كل شيء... لي»

وأم يكن أمامها إلا أن تطيعه وخرجت ليان من السيارة خلفه لتقف أمام راحة يده على قاع متلاثة بالأضواء وأخذت الحيرة تزداد داخلها. وأيا كان تفكيره لم يسمع لمعرفته قبل أن يهل الصباح ولهذا يتحتم عليها أن تتكيف الآن مع هذا الوضع. ولكن كم يكلفه ذلك؟ وأي شيء سوف يتوقعه منها في المقابل؟

«لن أطلب منك شيئا يخرج عن حدود امكاناتك، لا أطلب منك إلا أن تطيعيني. النساء الانكليزيات يجهن صغوبة في الحضور لسلطة الرجل. أما هنا ثلاث يتعلمن منذ ولادتهن أن الرجل هو سيدهن. وفي مقابل ذلك يكنسهن حبايتنا واحترامنا. فهل هذه صفقة خاسرة؟»
فردت عليه بعد لحظة:

«لا اعرف أنني أظن أن هذا لما يتوقف على مراجع الأشخاص الذين يعتنيهم الأمر. فأنا نفسي تعلمت أن احتفظ باستقلالي عن الآخرين»
فقال لها:

«قد يرجع هذا إلى طبيعة تشاك ومعرفتك بأن دار الأيتام لن تظل تعريك إلا إلى سن معينة. كنت سنية الحظ لانقذارك إلى أسرة تعيطك بعناية خاصة. وكان ربة الأسرة كفيلا بأن يكيح جناح قرودك قليلا ان لم يكن قماما»
فابتسمت ليان وهي تسأل:

«خدمة للطب الواضح الذي يطلبه منها، فما هو إذا الشيء الذي سمعته؟ انها
«مهارات يمكنها أن تقيده؟ وليست لها روابط من أي نوع، فهي مجرد فتاة
«كثيرة وحيدة وتنتهي في مدينة أجنبية».

«هذا الباب يؤدي إلى غرفة الحمام الخاص بك وأقترح أن تنامي الليلة نوما مريحاً
بدون أن تتأخري كثيراً».

وتساءلت بدون أن تلفت اليه:

«وهل أنا في حاجة إلى ذلك؟ أعني لكي أستطيع تحلل الصدمة».

فسألها وهو يتسهم:

«وهل نظرتين أنك سوف تتعرضين لصدمة؟ ربما تكون الكلمة المناسبة هي

الاستنتاج».

فاستدارت نحوه وأومأت اليه وهي تستعطفه قائلة:

«أرجو ألا تتركني في جو الاثارة هذا، انك تريد مني شيئاً ما في مقابل ما تفعله.

وأوضحت هذا، فهل لك أن تيلغي ما هو؟»

فأجابها:

«سيكون ذلك على مائدة الاقطار، فلا بد أن يتوفر لي الوقت لبحث كل شيء قبل

أن ألتفت للفرار النهائي. بل ربما أقرر ألا أطلب منك شيئاً، وفي هذه الحالة فإن

متناقضاتنا ستكون ذات طابع مختلف....»

وألقى نظرة أخيرة على الغرفة ثم قال لها:

«ستناول الطعام في غرفة الجلوس الخاصة بي في الثامنة والنصف، أيمكنك

الترجى إلى الجناح رقم ١٧٣٤».

فردت عليه:

«أعتقد ذلك».

أنسحب مؤكداً لها أنها لن تستطيع معها حاولت أن تأخذ منه رداً على تساؤلاتها

فليكن موعدنا مع أذن الثامنة والنصف....»

وقال لها وهو يتسهم ابتسامة مصطنعة:

«تصبحين على خير».

وظلت محققة في الباب المغلق دقائق عديدة بعدما تركها وهي تحاول أن تفهم

الاحتمالات المختلفة لهذا الموقف، فهو لم يبد أي اهتمام شخصي بها حتى يكون

سكنت من لا يابيا ، تلك السهول الشاسعة التي تبعد مئات من الكيلومترات
عن المدينة

سكنتها اذا كانت تلك منطقة زراعية فهي تعتقد أنه لا يمكنه أن يكون مزارعاً ،
فليس وقال لها :

سكنتها مندورا فقتصت بانتاج الماشية فقط وهي تصدر اللحوم الى مختلف
أجزاء العالم

وسألت عندما تنظر اليه نظرة جديدة وتذكرت سبب خشونة يديه ، انه أذن أحد
الزراعت الماشية في الأرجنتين ويمكنه أن يركب الجياد يوماً في مزرعته ، فلا
تعب لها لو كان يتعامل في المسائل الحالية بلامبالاة ، لقد اشتهر بعض هؤلاء
بأنهم من أصحاب الملايين ، ووضعت فتجان القهوة على المائدة بيد تهتز وسألته :

عن الصمت فرأته :

ليس السيكار بشغتيه قبل أن يجيبها وعشاء ثلثيان بعينها عبر المائدة :

«عندما أخرج ماعرضه عليك»

مطبوخة بالبرود والميز وسألته :

«أخرج أفضي أنك تعرض على صملاً»

«هل تريدون أن تكسبي عشرة آلاف من الجنيهات الاسترلينية»

نظرت اليه ليان وقد شل تفكيرها فجأة وسألته :

«هل تفرح»

«لا أريد أن استعور طعماتك لمدة ستة أشهر وفي نهاية تلك المدة سأعيدك
في السجن وأخذ الترتيبات لأبداع هذا المبلغ في حسابك في أي بنك قصديته»

«مضحك»

«قال لها في حزم ويتهكم :

«ليس بالصورة التي تظنيتها ، أياهاك أمس أي نوع من النساء أفضل ، ولا
أريد أن تخافني ، إذ ليست هناك أية مهام مستعينة ، وكل ما أريد منك هو

«صوتك»

٢ - مأزق عشرة آلاف جنيه

مع مطلع الصباح لم تتبادل حالة الخوف التي أتت بها ، ونهضت بعدما نالت
قسطاً كافياً من النوم وأخذت حماماً وارثدت زياً أخضر فاتحاً ، وتوجهت الى جناح
ريكاردو الذي يعلو الطابق حيث غرفتها بطابقين وطرفت الباب وهي تتحدث
نفسها عما يفعله ريكاردو لو أنها قررت أن تعاد الفندق في هذا الصباح الباكر
بدون أن يراها ، وكان من الصعب أن تتصوره يتركها تغتسل منه بسهولة ، ورغم
ذلك سوف يحتاج الى شريط مديته من أحطهم مدن العالم مثل بونيس آيرس
حتى يجدها ، ولأمت نفسها لأنها لم تفكر في ذلك من قبل ،
والفكر ريكاردو وهو يرتدي بدلة لونها بيج ، وقد طرأ عليه تغير طفيف نسبة
الى الأمس ، وكان الافطار معداً على مائدة مجاورة لتافذة واسعة يمكن أن تلقى
منها نظرة شاملة على المدينة.

وجلس على الكرسي المقابل ، وسألتها اذا كانت نعت يوم هادئ ، فأجابته :

«كنت نوماً مريحاً في شكل معصون وليس الكثير في رأسي لأفكر»

فأجابها بأنه أيضاً لديه ما يفكره ، وعندما لمعنا في تناول الافطار سألتها عما اذا
كانت تفضل طعاماً إنكليزياً ليطلبه لها ، فأجابته بأنها مستعدة بتناول القهوة
وشرائح الخبز وأخذت تحضن القهوة وهي ترفف وجهه متمنية أن يتطرق بما يريد ،
ولما طال وقت الصمت بصورة غير محتملة سألته :

«هالك لا تعني كل وقتك في بونيس آيرس كما هو واضح ، فهل تخبرني من أي
مكان في الأرجنتين جئت»

ويظهر بريق أخضر ناعس في عينيها وآخر خداهما قليلاً وهي تقول:
«هذا شيء عظيم جداً. فهل لي أن أسألك ما سيكون عليه وصفي في بيتك»
فأجابها في هتق:
«ستكونين زوجتي»

وعندما هبت بالكلام رفع يده قائلاً:

«ستكونين زوجتي بالاسم فقط ولفترة الستة أشهر وحدها»
فسأته وهي مبهورة وقد بدا عليها قدر كبير من حدة الغضب:
«وما الذي سيحدث بعد أن تنتهي فترة الستة أشهر»

«سوف يلقي كل شيء» وتعودين إلى وطنك متحررة من أية وروضة، وبدون حاجة
لأن تعمل لكسب عيشك»
وهزت رأسها ببطء وهي تقول:

«إنني لا أفهم لماذا»

«سأشرح لك على ألا تقاطعيني أثناء ذلك»

وأخبرني في خفتة وهو يسيطر على مشاعره وقال:

«لكي أحكي القصة من البداية لا بد أن أعود سنوات عدة إلى الوراء إلى الوقت
الذي توفيت فيه أمي وقام والذي بالحاضر كارلوس، ابنه غير الشرعي
ليعيش معنا في الأستانيا، وكارلوس يصفقني بأربع سنوات، وعندما
توفي والدي منذ أسابيع قليلة ترك وصية بأن يعهد بأمر المزرعة للابن الذي
يتزوج أولاً. وكان أبي يعرف أن كارلوس يحترم فعلاً الزواج من ابنة جارتنا
في حين لم تكن لي أية خطط بأمر في هذا الشأن، وأنا باعتباري الابن البكر لأبي
لا أريد أن يسبقني كارلوس على حفي. هل هناك حاجة لأن أقول المزيد»
وتنظت ليان بعين وبطء وهي تحاول أن تجمع شتات أفكارها وقالت له:
«نعم، أعتقد ذلك»

«وهل هناك شيء لم أوضحه بعد»

«كلا، أوضحت الأمر بجملة تام وأنا أفهم السبب الذي يدفعك إلى التعميل

المتعمد على زوجة. ولكنني فقط لا أفهم السبب الذي جعلك تقتارني أثناء
الليلة الماضية. هذا الدور فمن المؤكد أن إحدى نساء بلدك...

«من الواضح من نساء بلدي أن تقبل الشروط التي أقصمها للزواج فأنا لا أريد
أن أظل مرتبطاً، فهي مجرد وسيلة لتحقيق غاية»

«يمكن لهذا حدوث الزواج بستة أشهر»

«هذا هو الشرط الذي فرضه أبي. إذا كان يعرف بقدرتي على الوفاء بالشرط
الذي وافقته إعتقد أن من غير المحتمل أن تقبل أي امرأة الشروط الموضوعة
للزواج»

«لكن في إمكانك أن تعبط خططه باختيارك امرأة تريد الاحتفاظ بها كزوجة. فمن
المؤكد أن هناك نساء تقفز أي منهن لاقتصاص فرصة تنجح لها أن تصبح سيورا
سيورا»

ونظر إليها بعينه السوداوين نظرة صارمة ثم قال لها:

«ما يجب أن تعرفه قبل أن توافق على هذه المناقشة هو أن تكفي جناح ميالك
الحرية. لا بد أن أقال احترامك»

فصمت ذقتها إلى أعلى وقالت:

«لست لم أوافق على استمرار هذه المناقشة، فالفكرة كلها مستحيلة أو هي
مغالية للعقل والطبيعة»

«سأخبرك هذا رغم أن البلع هو عشرة آلاف جنيه؟ فأين هو الصل الذي يمكنك أن
تسقي منه عشرة آلاف جنيه خلال ستة أشهر»

«لا أريد»

«فصمت بكرسيها إلى الوراء بحركة حازمة وأصابت»

«وكيف أرفض ذلك. وسوف أحصل على ما احتاجه من قنصلية بلادي»

«التي هو الأحد والقنصلية مغلقة»

«ولم يتحرك، إلا أن شيئاً ما في تعبيراته جعلها تفيق. ونظر إليها لحظات طويلة
صعبة قبل أن يضيف قائلاً:

فظهرت إليه وقد بدت بلا حول ولا قوة وسألته:
«ولكن ماذا سيحدث بالنسبة إلى عملي... والوكالة»

«كُلُّ شَيْءٍ سَيَمُوتُ تَدْبِيرًا، فَهَلْ تُعْطِيَنِي وَعْدَكَ؟»
«وَهَلْ سَأْضِلُّ سَجِينَةً إِذَا أُعْطَيْتَكَ وَعْدِي؟»

فأجابها وقد مدت نظراته عينيها:

امراتك بلا مخالاب

قالت له بسرعة:

«وعندتي بأن علاقتنا ستكون علاقة عمل».

«أصكراً؟ هناك من الثلاثين من يومه جداً أن يقر لك ما هو أفضل، فلن كنت تتفقين معي في هذا الرأي عندما يبين وقت انفصالنا يمكنك أن أهيء لك خوض هذه التجربة».

فردت عليه في جد:

«كلا، سوف أختار من أحبها إذا أردت أن أظل لتفسي حبيباً».

فقال لها في لهجة تحذيرية:

«ولكن ليس خلال الأشهر الستة المقبلة، وسواء أكانت علاقتنا علاقة عمل أم لا فإن زوجة أحد أفراد عائلة مقنونا يجب أن تلتزم نفسها بأقصى درجات الحذر ويجب أن يبدو زواجها في عيون الآخرين زواجاً حقيقياً وفعالاً. وأي خروج من جانبك عن الخطوط التي أحدها لسلوكك سوف يعامل بالطريقة التي جرى التعرف عليها... وسوف تحصلين على أجرك كاملاً».

صعدت بدأت تفهم:

«لأنها لسان وهي متظاهر بالبرود وتقاوم في نفسها الرغبة في أن تقول لـ أنها لن تستمر في هذه العملية رغم تهديده لها. وإذا كان هناك أحوال نسبه واحد في الألف لأن يعيدها إلى رايوس فإنها ليست مستعدة لأن تفعل ذلك. إلا أنها تستطيع أن تجعل الأمر صعباً أمامه، وهو ما سوف تفعله. وأضافت قائلة:

«ولا أعتقد أن عشرة آلاف جنيه مبلغ يرضيني إنني أريد عشرين ألفاً».

ومرت فترة ضمت ثقيلة، ثم أخذت عيناه تضيقان كأنها تبحثان تهديداً لها. وأخذ يمسح في وجهها ويمر يصره على عبقها، وقال لها:

«سأجعلك تدفين مقابل ذلك ثلثاً غالياً».

فردت عليه بصوت غليظ ودقات صوتها تسرع:

«ويؤسفك تتخلى عن هدفك؟ إن إلغاء عقد الزواج يتطلب علاقة الجاهات عدم الدخول...».

لم تزوج بعده.

من بعد قليل تمهيدي بالنسبة إلى الزمان والشكل، فهل تجرؤ على غفص وعندك من أسوأ آلاف من الجبهات؟

فقال لها وهو يعرض على أستاذته:

«سوف أختار من أحبها إذا أردت أن أظل لتفسي حبيباً».

فقال لها في لهجة تحذيرية:

«ولكن ليس خلال الأشهر الستة المقبلة، وسواء أكانت علاقتنا علاقة عمل أم لا فإن زوجة أحد أفراد عائلة مقنونا يجب أن تلتزم نفسها بأقصى درجات الحذر ويجب أن يبدو زواجها في عيون الآخرين زواجاً حقيقياً وفعالاً. وأي خروج من جانبك عن الخطوط التي أحدها لسلوكك سوف يعامل بالطريقة التي جرى التعرف عليها... وسوف تحصلين على أجرك كاملاً».

صعدت بدأت تفهم:

«لأنها لسان وهي متظاهر بالبرود وتقاوم في نفسها الرغبة في أن تقول لـ أنها لن تستمر في هذه العملية رغم تهديده لها. وإذا كان هناك أحوال نسبه واحد في الألف لأن يعيدها إلى رايوس فإنها ليست مستعدة لأن تفعل ذلك. إلا أنها تستطيع أن تجعل الأمر صعباً أمامه، وهو ما سوف تفعله. وأضافت قائلة:

«ولا أعتقد أن عشرة آلاف جنيه مبلغ يرضيني إنني أريد عشرين ألفاً».

ومرت فترة ضمت ثقيلة، ثم أخذت عيناه تضيقان كأنها تبحثان تهديداً لها. وأخذ يمسح في وجهها ويمر يصره على عبقها، وقال لها:

«سأجعلك تدفين مقابل ذلك ثلثاً غالياً».

فردت عليه بصوت غليظ ودقات صوتها تسرع:

«ويؤسفك تتخلى عن هدفك؟ إن إلغاء عقد الزواج يتطلب علاقة الجاهات عدم الدخول...».

فقال لها في لهجة تحذيرية:

«ولكن ليس خلال الأشهر الستة المقبلة، وسواء أكانت علاقتنا علاقة عمل أم لا فإن زوجة أحد أفراد عائلة مقنونا يجب أن تلتزم نفسها بأقصى درجات الحذر ويجب أن يبدو زواجها في عيون الآخرين زواجاً حقيقياً وفعالاً. وأي خروج من جانبك عن الخطوط التي أحدها لسلوكك سوف يعامل بالطريقة التي جرى التعرف عليها... وسوف تحصلين على أجرك كاملاً».

صعدت بدأت تفهم:

«لأنها لسان وهي متظاهر بالبرود وتقاوم في نفسها الرغبة في أن تقول لـ أنها لن تستمر في هذه العملية رغم تهديده لها. وإذا كان هناك أحوال نسبه واحد في الألف لأن يعيدها إلى رايوس فإنها ليست مستعدة لأن تفعل ذلك. إلا أنها تستطيع أن تجعل الأمر صعباً أمامه، وهو ما سوف تفعله. وأضافت قائلة:

«ولا أعتقد أن عشرة آلاف جنيه مبلغ يرضيني إنني أريد عشرين ألفاً».

ومرت فترة ضمت ثقيلة، ثم أخذت عيناه تضيقان كأنها تبحثان تهديداً لها. وأخذ يمسح في وجهها ويمر يصره على عبقها، وقال لها:

«سأجعلك تدفين مقابل ذلك ثلثاً غالياً».

فردت عليه بصوت غليظ ودقات صوتها تسرع:

«ويؤسفك تتخلى عن هدفك؟ إن إلغاء عقد الزواج يتطلب علاقة الجاهات عدم الدخول...».

ونظر اليها في أعجاب برشاقة فوامها ثم قال لها:

«إنهبي الآن الى غرفتك وعندما تلقي مرة أخرى يجب أن يكون كل منا في حالة ذهنية أفضل.»

وغادرت ليان المكان بدون أي نقاش وهي سعيدة لأنها سوف تتخلص من سيطرته ولو لفترة قصيرة. وعندما وصلت الى غرفتها استندت الى الباب وهي تحاول جمع أفكارها. الأمر كله يبدو أكثر من خيالي وأكثر من مجرد شيء لا يصدق. هل يحصل أن تكون القفص كلها أو هذا الجزء منها على الأقل مجرد حلم؟ انها تعلم أنه ليس بعلم. فالتفاصيل غاية في الوضوح وعليها أن تقر ما الذي ستفعله. ولكن ألم تتخذ قرارها فعلاً؟ ان ريكاردو مندوزا ليس الرجل الذي يتظاهر بادعاءات فارغة. وإذا قال أنه يستطيع أن يعثر عليها في أي مكان فحينئذ فيه فانه يعني أنه قادر فعلاً على ذلك. فما العمل إذن؟ واعتزت الأرض تحت قدميه. ولم تشأ أن تجد لنفسها مخرجاً فالتساءل هنا لا تصب في من ظلم الرجال كما يبدو.

ومر الصباح في ببطء. وعندما انتصف النهار اتصل بها ريكاردو تليفونياً ليأشأها عما اذا كانت ستتناول طعام الغداء في غرفتها أم أنها تفضل أن تتناول معه في المطعم. فردت عليه بسرعة: «سأتأوله معك في المطعم.»

أدركت أنه لا قائلة من بقائها بعيدة عنه لما دامت قررت المضي في هذه العملية عليها أن تعتاد على صحبته. وقال لها وقد اكتسب صوته رقة:

«حسناً، سوف أقابلك في اليوم خلال خمس عشرة دقيقة.»

وأخذت تسرع في ارتداء ملابسها المناسبة وان كانت لا تناسب زوجة رجل ثري. سوف تتسك في المستقبل بارتداء ملابس معينة تفضلها ورغم أنه ربما يحاول إرغامها على الالتزام بما اتفقا عليه في فترتي الشهر الستة المقبلة إلا بالطريقة التي تتفق مع شخصيتها.

وأثناء مرورها في الزهرة المزدهرة لمحت زوجاً أو زوجين من السياح وسألت السيدة عما يمكنه أن يحدث لو طلبت منهم مساعدتها. وتباطأت فعلاً وهي تضي القرب من زوجين يبدو أنهما انكليزيان. ولكنها عادت فأسرعت الخطى إذ رأت ريكاردو يراقبها وهو واقف قرب مدخل المطعم. وقال لها ريكاردو في سرية:

«حسناً قطعت بعدم استسلامك لأية نزوة انني لم أكن لأجد صعوبة في إقناع فريق الاتي بأن زوجتي الانكليزية المعصودة تقرر دعائها على حسابها.» ثم أصبح زوجتك بعده.

وردة عليها وهو يمز كضيقه باستخفاف:

«لكنك تودين الدور من الآن وأمامك الكثير لتتعلمينه.»

وجلسا الى المائدة التي حجزها ريكاردو في المطعم المزدهر. وقالت له ليان:

«سأنت متحير القلب ولا تعياً بأي شيء سوى تلك المزرعة.»

طلب منها أن تنطق الاسم الصحيح للمزرعة بالاسبانية وهو إستانسيا. وسأها عما تعرفه من اللغة الأسبانية. ولما أجابته بأنها لا تعرف الا القليل قال لها أنها عندما تغادر الأرجنتين يجب أن تكون قد بلغت درجة عالية من الامام بالاسبانية. وسأله:

«هل تعلمت عن فكرة تعليمي كيف تتصرف المرأة على الطريقة الأرجنتينية؟» «كلا. ولكن ستة أشهر ستكون كافية لذلك، وانني أأمل أن تكون علاقتنا خالية من الشائب بقدر الامكان ... ولهذا ستعقد اتفاقاً: وإذا أظهرت تساهلاً معني أمام الناس قاتني أتعهد بأن أغطي عن هفواتك عندما تكون وحدنا.»

فأبدت ليان موافقتها وان كانت قد أصبت ببعض الشك في كلامه عن البقاء وحدها. ولكنها أبدت الشك عن نفسها لأنها تترك أنه لن يضحى بخطئه وحرياته لمجرد الاستحواذ على امرأة لا يشعر نحوها بأي شيء. وأعربت عن شكها اذا كان يعرف الحب. وطلبت منه ليان أن يحدثها عن الانستاسيا

امراة بلا مخالب

توب الخيل»

وأخذ يداعبها بقوله:

«هل تشقن سريعا من الضرب؟»

«هل ستعرض للضرب؟»

«لست هناك من وسيلة لترك انطباع دائم لديك سوى ضربك. وعلى أية حال

في الأيام سوف تين هذا. الطعام مقبل وسوف تدخلين السرور الى نفسي

تلك القليل من كل لون، وبعد أن تنتهي من تناول الطعام سوف نتجول في

الحديقة فلن يكون لدينا وقت غداً.»

«لست ليان يحلفها بحلف وهي تتذكر أنها تتزوج غداً من ذلك الرجل

الذي اختطفها! إنها لا تحتمل التفكير في ذلك ورغم هذا فليست أمامها

من وسيلة للفرار. أنها غلطة الوكالة وسوف تقاضيها عند عودتها إذا كانت

سعيدة قسمة أشهر قديم كانها العمر كله. يمكن أن يحدث أي شيء خلافاً.

ومن يعيش فيها سواء هو وأخيه. فقال لها إنه أخ غير شقيق وليس له أي حق

فيها. وسألته إذا كان يكرهه، فقال إن لديه أسبابه. وغادرت فاستغمرت منه إذا

كان يكرهه لأنه ابن غير شرعي أم لأنه محبوب من الناس. فقال لها إنها على حق

في استفسارها لأنه هو نفسه ليس له سوى أصدقاء لئلا يتركه يحافظ عليهم

وأضاف:

«إن ما أعرفه عن كارلوس لا شأن لك به، فقد كنت بإدارة شؤون الاستانسيا

على أكمل وجه منذ مرض أبي لأول مرة. ولقد عسى سنوات واتني لا أعترم

التخلي عن اشرافي عليها.»

«ولكن هل سيقفل كارلوس يقيم فيها؟»

«يمكنه الإقامة فيها هو وايزابيلا. إلى أن يتم بناء منزل آخر لها وذلك ما لم

يكن كارلوس يفضل أن يتولى إدارة مزرعة رينغا. والد ايزابيلا والذي

سرحي بذلك خاصة وأن السن تتقدم به وسوف تصبح المزرعة مكاناً لكارلوس

آخر الأمر.»

«هل ايزابيلا هي الابنة الوحيدة لرينغا؟»

«نعم إذ ماتت أمها وهي تضعها قسماً مثلها حدث بالنسبة الى امي. وتقيم في

البيت أيضاً. أنيز التي كانت تعمل ممرضة لي من قبل وهي الآن رئيسة

للخدم. وعلى بعد ستين كيلومتراً من هنا تقع بلدة سنتينا. وينتهي ألا تلغبي

الى تلك البلية الا اذا كنت بصحبتك.»

«فرقت ليان رأسها وسألته:

«هل سأظل أذن حبيسة داخل الاستانسيا؟»

«ناتيمس ولال لها:

«إن قديمها كما تظنين مكاناً مقيداً لحركتك. فالمرح يحتاج الى يوم كامل ليصل

على ظهر الخيل الى أحد أطرافها. هل سبق لك ركوب الخيل؟»

«ليس كمن يعتاد ذلك أو على درجة من الخبرة.»

«ستكتسبين لذا خبرة أخرى تعودين بها الى انككترا فنوف أعلمك بنفسي

٣ - السيد في العرس

من الطائرة وعلى ارتفاع ثلاثة آلاف قدم. بدت الأفق لانهائية والمسهول
منبسطة متزامية الاطراف، ولا يكسر حدة رتايتها سوى الخطوط المنقطعة
للطرق النائية التي لا تنهي. قال ريكاردو ذات مرة ان خط السماء الى
الجنوب عندما تبرز منه سلسلة التلال المنخفضة تكون قد وصلنا الى المنطقة
وسلسلة تلال سييرا دي تانديل تقع على حدود ارضي مندوزا
وحسب الآن لم يطرأ أي تغيير في رقعة الأراضي الممتدة ورغم أن المسافات
البعيدة الممتدة الى الجنوب يكتنفها الضباب الشفاف
وأخذت ليان تخلص النظر الى الرجل الذي ترويجه منذ ساعات قليلة.
وتأمل يديه الفويتين اللتين تتحركان في أجهزة الطائرة. كان من الصعب عليها
أن تتصور أن كل هذا يمكنه أن يحدث لها خلال يومين فقط ورغم هذا فإنها هنا
الآن وأصبحت سنيورا مندوزا، زوجة أحد أثرياء الأرجنتين، وهو رجل لا
يمكن لمالها أن يظاول غايله. ان هذا العالم الذي يمتلك فيه الأشخاص الطائرات
العاجية والثروات الطائلة لم يكن ولا يمكن أن يصبح عالمها. وهي لا ترغب في
دخوله، بل ان مجرد قضائها الحياة ستة أشهر في مثل هذا العالم سوف يستنفذ كل
طاقة لديها.

وما كانت ليان قد بدأت تترك وهي في الزورق النهرى الذي أقلها مع
ريكاردو الى المطار أن الرجل الجالس الى جوارها أصبح زوجها وبذلك السلطة
عليها بحكم التقاليد التي ما زالت النساء تعامل جنسها كمواطنات من مرتبة

شوية الى حد بعيد. ان تفكيرها في ذلك الأمر كان شيئاً مزعجاً.

وحدثت بذاكرتها - وهي بانسة - الى الليلة السابقة وأخذت تحاول إستكشاف
مدى الغامرة التي دفعتها الى ما هي فيه الآن. اذ صعبها ريكاردو الى واحد
من أفضل الأماكن الدالية بعد أن اشترى لها ملابس فخام بها كل امرأة.
وكانها طراً عليها تغيير واكتسبت ثقة في نفسها. انها تعلم أن الرجال الآخرين
يظنون اليها باعجاب وينظرون الى ريكاردو بحسد، مما أدخل السعادة الى
قلبها وأدركت أنها تحس بالزهو والغرور والحياة فيها ما هو أهم من هذا. وقتت
لرانيا كانت تبعد مليون ميل عن هذا المكان وعن هذا الموقف وقتت العودة الى

ونظر ريكاردو اليها لحظة وهو يفحص ملابسها وسأله:

«هل أصبحت فجأة تخافون مني؟»

«لا، صوت خفيض يحمل نبرة لوم ونوبخ:

«هل أنت كذلك يا ليا ولا أقول لك؟»

«سأنتقن ان أردت ذلك. ولكن اذا لم يتحقق فإن هذا لن يتم كثيراً».

«حسب أن أفعل ما يطلب مني، أليس كذلك؟»

«كنت لم تبدل جهداً كبيراً في الرجاء أمسي».

«يوم أمس كان مختلفاً كنت مضطراً لارغامك على الموافقة فلم يكن هناك وقت

للمناقشة الاضاح بالأسلوب الرقيق».

«تسببت فترة طويلة وسأله:

«هل أنت كذلك فقد عني عندما عدت باعادي الى ملهى ريموس؟»

«لا، فلم يكن ليطلب اعادتك اذا لم تكن لديك رغبة في ذلك، ان ريموس

رجل رخيص ولكنه ليس غيباً».

«فكانت وقد إصفر وجهها وأصبح متوتراً.

«سأنتقن ان أردت ذلك».

«كنت انتي كنت في أمس الحاجة الى ذلك. وكانت لدي أنا نفسي شكوك عندما

امرأة بلا مبالاة

وصلنا الى الفندق ولكنني تقلبت عليها وعليتك أن تفعل مثلي»
وأضاف في تهكم:

«من الأفضل أن تعلمي أنني لست قاسي القوادة بالصورة التي تخيلتها أول مرة.
ولم تشعر ليان بأن هناك فرقاً فهي هنا الآن، أليس كذلك؟ فقد استفاد
مذاجاتها وهذا في حد ذاته قسوة.
وقال لها:

«أنا أفضل أن نكون أصدقاء لا أعداء فان هذا سيجعل الأمور أسهل»
«بالنسبة اليك أم بالنسبة الي؟»

«بالنسبة اليها، انت اعتدت على كسب عيشك ألا تعتيرين هذا مجرد عمل؟ انه
لدة ستة أشهر فقط»
قالت:

«لتفترض أنني رفضت العودة بعد ستة أشهر؟ هل فكرت في هذا؟»

وتغير وجهه وأصبح متوتراً ومنفرداً من جديد وقال لها في صوت خفيض:

«إن مجردي على ذلك»
وكان على حق في هذا، فهي لن تجزؤ كما أنها لا ترغب في ذلك، فستة أشهر
فترة أكثر من كافية، وودت عليه:

«لا داعي لأن تقلق لن اثير أية مصاعب وسوف يسعدني ان اتخلص منك»

«سوف أتأكد من هذا... وصلنا الآن. وخلال لحظة أو اثنين سترين هبوط الطائرة»
ولمحت ليان الأجنحة وقطعان المائبة ترعى الغشيب في حراسة راكبي

القبول. وقال لها ريكاردو أن المائبة يتم تجميعها ونقلها الى محطة النقل
بالمسكن الحديدية ومن هناك تنجده رأساً الى منطقة لا بلاتا الساحلية حيث
يوجد المجرور.

وسألته:

«لم يبق من عمر هذه المائبة ان لا الا القليل، أليس كذلك؟»

فهو كتمه بلا مبالاة وقال لها:

«الآن انظر بعضهم ذرو حسابية خاصة لئلا هذه الأمور، فالحيوانات تربى من
أهل اللحم»

وسجلت الطائرة في سهولة ويسر وتوقفت على بعد ياردات قليلة من مجموعة
التي عند أحد طرفي المدرج. وخرج رجل خلاصي من أحد تلك الأجنحة، يرتدي
حارس خشنة وملائحة حلابة، وأبتسمت له ليان فرد عليها بنظرة متفردة
تعد الأثرياء. وتحدث اليه ريكاردو قليلاً بالاسبانية ثم صحب ليان الى
سيارته التي كانت تقف في الانتظار بينما أخذ الركاب الآخرون يخرجون الأمتعة
من السيارة. وبعد أن فرغ الخدم من وضع الأمتعة في السيارة انطلق بها
ريكاردو في الحال بدون أن يتحدث مع الرجل مرة أخرى. وبينما كانت
السيارة تنطح الطريق الترابي سأله ليان في تهكم:

«هل يتم تربية هذا الرجل للقيام بالخدمة فقط؟»

ثمقها بنظرة سريعة متجهية وسأله:

«هل هذا مزاح؟»

«تلا أنني لا أجد في معاملة البشر كالمائبة شيئاً يدعو للمزاح على الإطلاق
ليس للرجل اسم»

فقال لها في غضب:

«لاني لا أقدم زوجتي الى خادم، فعادات بلادي تختلف عن عادات بلادك»

«كنت على حق فقد زالت العبودية من بلادي بالنهاه العصور الوسطى»

«لكن ليسوا مستعبدين، فهم أحرار في المجيء، والذهاب كيفما شاؤوا»

«كيف ذلك؟ من شكل الملابس التي كان يرتديها ذلك الرجل يتبين أنه وأمثلة
لا يلبسون الكثير من مائبات الحياة، فكم تدفع لهم؟»

«كفى! ليس هذا من شأنك»

«لا بد أن يكون لي شأن بهذا ان كنت مأفوم بدور زوجتك أم أن المأفومين أن

تدعني المرأة عن احتياجات الطبقات الدنيا؟»

وقال لها بدون أن يرفع صوته لكن بلهجة حازمة:

«لاني لا أقبل أن ألقى دروساً كهذه من أيدي امرأة، فهل تريدون أن تشعرني بشيء؟
«لاني لا أعلم شيئاً. حسناً سأبذل جهدي بكل ما أملك من انفعالاتي بالنسبة إليك.
«لاني لا أستطيع أن أجد بالاً أغضب منك. فهل هذا يساعدك أكثر؟»
«نعم كثيراً».

«ولم تزل إلى السهل الظلم ورأت أخصاء من بعيد وسألته:
«هل هذا هو المنزل؟»

«نعم في الإقليم الآخر».

«وأضاف في لهجة جافة:

«نعم الآن في طريقنا مباشرة لمصور عقل الزواج».

«أعصت ليان في جلستها ونظرت إليه قائلة:

«كلا يا ريكاردو لا يمكنك أن تفعل هذا».

«فقال لها بلهجة حازمة لا تقبل التراجع:

«لاني لا أجوز من محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لاني لا أعرف في محاولة إقناعي بتغيير رأيي. لاني لا أعرف في

«لا أعرفه، ولكن يجب أن تفعل ذلك، إن أي شيء أفضل من افتحام حفل الزفاف نفسه»
وقال بدون أي إشارة للعراجين:
«لا أوافقك، فكلما عجلنا كلما كان ذلك أفضل»
وسكت ليان . إذ بدا لها أن لا فائدة ترجى من وراء ذلك. وبقلب محزون رابت الأضواء وهي تقترب. ورأت المنزل ذا الطابقين يحف به غشاء متسع وسنعت صوت الموسيقى والصيحات والضحكات. وما أن لمح الحاضرون ريكاردو في سيارته حتى تراءت انفجالات مختلفة في ضوء المشاعل والتناديل وفتح أحد الجدم باب السيارة فتزلا منها ووضعها ريكاردو نحو المدخل الذي تغلوه الأقواس. وأخذ الحاضرون يفسحون لها الطريق وسط المكان المزدهر بالزهور بينما انتشرت في الفضاء اللواتد العائمة بالأنظمة ومن حولها المدعويون الذين ارتدوا الزي الأسباني التقليدي. وأخذ العروسان مكانهما فوق منصة في نهاية الفضاء وجوارهما زوجتان صديقتان اعتقدت ليان أنها والدتا العروس وأحست بدراج ريكاردو يتصلب قليلاً تحت ذراعها بينما جنيته تطفئان في جمال الفتاة الأخت وهي بخيبة أمل زوجها الذي أكثر من سبب ليكره أخاه غير الشقيق، فلعله كان يريد إيزابيلا لنفسه.

ولم يصدق بعض الحاضرين غيرهم وهم يرون ريكاردو في حين شع البعض بالأسى بينما أبدى واحد أو اثنان مشاعر الابتهاج لمجيئه. وقلبك الجميل غمرة من حب الاستطلاع حول هذه المرأة. وأخذ ريكاردو يرمي برأسه بينة راحة نيرة على تحفة الحاضرين . لكنه لم يحاول التحدث مع أي منهم وعمر بها نحو العروسين بينما أصيب أفراد الحاشية التي أحاطت بها بنحور كاد يصب الدم في عروقهم وهم يتوقعون، ما سوف يحدث.
كان كارلوس أقصر قامه وذا جسم مثلي وأقوى من أخيه غير الشقيق وكان وجهه وسيا يحمر عن المرأة. وشعره أسود مجعداً وكان يرتدي زياً رائعاً يذكره بزي مصارعى الثيران. قال كارلوس بالأسبانية:

«صحيح له ريكاردو كلامه قائلاً:
«سيرا... تزوجنا صباح اليوم في بونتس أيرس» -«سوخلال السكون يسمى» بحث ليان علامات الارتياح على وجه العروسي الجميل. وظنت أنها طالت إذ كيف تفتيط زوجة لأن زوجها فقد كل شيء؟ كرهت ليان نفسها ما تفعله وكرهت ريكاردو لأنه دفعها إلى المشاركة في هذه العملية. حتى النظر عن سلامة الموقف أم خطأ فإن هذا لن يحل المشكلة.
«كارلوس كارلوس هو البنادي» بالكلام وقال في صوت متخفض متهدج
«مكس مكسوت»
«سبحيل»
«ما يجب ذلك إذا أردت الإطلاق عليه»
«لا ريكاردو بلهجة لا تتم عن الانتصار ونظر إلى إيزابيلا وهو يضع يده على كتفي ليان ويضمها إليه قائلاً:
«حتى انكليزية وتحدث الإسبانية قليلاً لسوء الحظ ولكنها سوف تتعلمها»
«كفيت إيزابيلا نحو ليان تصافحها بكلفا يلحها وقالت لها في هدوء انكليزية:
«سبحاً يا يا أختي، لا بد أن تشاركنا العرس أنت وريكاردو...»
«كريب فرنسيسكورينا من زوج ابنته، وفيت ليان ما يقصده وهو يقول له:
«سبحت الآن يا كارلوس» ويشتا هو بيتك الآن»
«يرضع يده على ذراعها فأسكت الكلمات التي كاد يطق بها كارلوس :
«أنا قائلاً»

«لا أعرفه، ولكن يجب أن تفعل ذلك، إن أي شيء أفضل من افتحام حفل الزفاف نفسه»
وقال بدون أي إشارة للعراجين:
«لا أوافقك، فكلما عجلنا كلما كان ذلك أفضل»
وسكت ليان . إذ بدا لها أن لا فائدة ترجى من وراء ذلك. وبقلب محزون رابت الأضواء وهي تقترب. ورأت المنزل ذا الطابقين يحف به غشاء متسع وسنعت صوت الموسيقى والصيحات والضحكات. وما أن لمح الحاضرون ريكاردو في سيارته حتى تراءت انفجالات مختلفة في ضوء المشاعل والتناديل وفتح أحد الجدم باب السيارة فتزلا منها ووضعها ريكاردو نحو المدخل الذي تغلوه الأقواس. وأخذ الحاضرون يفسحون لها الطريق وسط المكان المزدهر بالزهور بينما انتشرت في الفضاء اللواتد العائمة بالأنظمة ومن حولها المدعويون الذين ارتدوا الزي الأسباني التقليدي. وأخذ العروسان مكانهما فوق منصة في نهاية الفضاء وجوارهما زوجتان صديقتان اعتقدت ليان أنها والدتا العروس وأحست بدراج ريكاردو يتصلب قليلاً تحت ذراعها بينما جنيته تطفئان في جمال الفتاة الأخت وهي بخيبة أمل زوجها الذي أكثر من سبب ليكره أخاه غير الشقيق، فلعله كان يريد إيزابيلا لنفسه.
ولم يصدق بعض الحاضرين غيرهم وهم يرون ريكاردو في حين شع البعض بالأسى بينما أبدى واحد أو اثنان مشاعر الابتهاج لمجيئه. وقلبك الجميل غمرة من حب الاستطلاع حول هذه المرأة. وأخذ ريكاردو يرمي برأسه بينة راحة نيرة على تحفة الحاضرين . لكنه لم يحاول التحدث مع أي منهم وعمر بها نحو العروسين بينما أصيب أفراد الحاشية التي أحاطت بها بنحور كاد يصب الدم في عروقهم وهم يتوقعون، ما سوف يحدث.
كان كارلوس أقصر قامه وذا جسم مثلي وأقوى من أخيه غير الشقيق وكان وجهه وسيا يحمر عن المرأة. وشعره أسود مجعداً وكان يرتدي زياً رائعاً يذكره بزي مصارعى الثيران. قال كارلوس بالأسبانية:

«صحيح له ريكاردو كلامه قائلاً:
«سيرا... تزوجنا صباح اليوم في بونتس أيرس» -«سوخلال السكون يسمى» بحث ليان علامات الارتياح على وجه العروسي الجميل. وظنت أنها طالت إذ كيف تفتيط زوجة لأن زوجها فقد كل شيء؟ كرهت ليان نفسها ما تفعله وكرهت ريكاردو لأنه دفعها إلى المشاركة في هذه العملية. حتى النظر عن سلامة الموقف أم خطأ فإن هذا لن يحل المشكلة.
«كارلوس كارلوس هو البنادي» بالكلام وقال في صوت متخفض متهدج
«مكس مكسوت»
«سبحيل»
«ما يجب ذلك إذا أردت الإطلاق عليه»
«لا ريكاردو بلهجة لا تتم عن الانتصار ونظر إلى إيزابيلا وهو يضع يده على كتفي ليان ويضمها إليه قائلاً:
«حتى انكليزية وتحدث الإسبانية قليلاً لسوء الحظ ولكنها سوف تتعلمها»
«كفيت إيزابيلا نحو ليان تصافحها بكلفا يلحها وقالت لها في هدوء انكليزية:
«سبحاً يا يا أختي، لا بد أن تشاركنا العرس أنت وريكاردو...»
«كريب فرنسيسكورينا من زوج ابنته، وفيت ليان ما يقصده وهو يقول له:
«سبحت الآن يا كارلوس» ويشتا هو بيتك الآن»
«يرضع يده على ذراعها فأسكت الكلمات التي كاد يطق بها كارلوس :
«أنا قائلاً»

امراء بلا حياء

«هذا افضل يا بني»

نوعه ليان في حواره

وتخلصت ليان من ذراع ريكاردو لترد على نجية إيزابيلا وهي تنهال في أعضاء جسمها وبقلب حزين وأسف لما يحدث. ولكنها حاولت أن تدبر نظرات عينها عما تشعر به.

وهي أحد الحاضرين يضع كلمات فانس ريكاردو واعتذر عن الازدحام قائلاً ان الرحلة كانت متعبة وان ليان تشرب في أترستريج، فالتفت إيزابيلا بلهجة احتجاج.

«ولكن اليوم هو يوم عرسك وعرسنا ولا يجب يا ريكاردو أن تغادر الحفل قبل أن تشرب الخب. هل تريد أن تحرم عروسك من حقها في مستقبل سعيد؟»
وقبل أن يرد عليها ريكاردو اتجهت إلى زوجها وجذبه من يده وقالت له: «ألا توافقني يا كارلوس على ضرورة بقائها بعض الوقت؟ أنا الآن امرأة واحدة».

ونظر كارلوس إلى أخيه بعينين مليئتين بالانفعال ودعاء هو وليد لسان الطعام فهز ريكاردو كتفيه بلا مبالاة. وسكت ليان لريكاردو الذي لم تذكره أهدأ مثلاً كرهته. بأن يصطحبها إلى المائدة الرئيسية لتجلس هي في مواجهة إيزابيلا ويجلس ريكاردو عن يسارها في مواجهة كارلوس.. وحاولت ليان أن تبدو طبيعية ولكنها لم تستطع وبدأ الحفم في تحريك أطباق الطعام سألت إيزابيلا ليان:

«هل تعرفت بريكاردو منذ فترة طويلة؟»

ونجيا ريكاردو لسامع رها بدون أن يبدو على وجهه أي قلق لما يمكن أن تقول. حسناً انهاذن ستقول لهم الحقيقة، فهذا ما يستحقه فردت على إيزابيلا بدون أن تنظر إلى ريكاردو:

«منذ يومين فقط»

فالتفت إيزابيلا في دهشة:

«انها فترة قصيرة جداً لا بد أنكما وقعنا في الحب في الحال عندما تقابلنا»

«نعم الرجل الذي يتم اعتقاله من مصر أسوأ من الموت يقع تحت التزام هائل»
«سكت عينا إيزابيلا وأعربت عن شكها لها تنصع فتدخل ريكاردو

الذي استعطفه عن زوجتي أنها تميل إلى الدعاية بصورة مختلف عنا.
«نقص المزاج معك»

ويحيط على ركبها من تحت المائدة محضراً وسأله:

«ليس كذلك»

«لقد دقات قلبها تسرع ولكنها سيطرت على نفسها وهي تجيبه

«تت ذلك فأنت ذاتها على حق يا ريكاردو»

«نحو جالسون عن قرب تلك الكلمات في حد ذاتها غير أنه من الشكوك أنهم
نحو المعنى المقصود من ورائها. ولكن الرجل الجالس إلى جوار ليان لم
يحرك في اتجاه هذا المعنى. وسكت ليان وهو يجذب أنفاسه واتجهت بنظرها
نحو نسم ناحية إيزابيلا التي كانت تنظر في دهشة. وقالت لها:
«ريكاردو يطلب مني أن أعمله بالطريقة الأرجنتينية فهل تساعدني لتعلم
الطريقة الصحيحة»

«نفسها وهي تبسم»

«لقد تسخرين مني مرة أخرى»

«سكت ليان بأنه لا يصح اقحام إيزابيلا في هذا الأمر الذي يتعلق بها
«ريكاردو وحدها وقالت لها:

«نحو لي إيزابيلا وهي تضحك:

«لقد كنت تتصرفين بطريقة مختلفة ولكنها مسلية. أليس كذلك يا كارلوس»
فوافقتها كارلوس ونظر إلى ريكاردو قائلاً:

«نحو حق وأنت أيضاً محطوط في اختيار إيزابيلا فهي عروس رائعة
«سكت»

«لن لا يبعد أن أفضل ذلك»

«لكنني لن تكفي له ما تشائين من مشاعر ولكن ما أريد منك هو أن تعتريني عن الاخلاص لي في الظاهر»

«لا شك في هذا»

«سأرى، إن سنة أشهر هي فترة كافية»

«أما سأكره هذا المكان»

«لكنك أنت أن تكرهي شيئاً لم تعري عنه سوى القليل جداً. ألم تقولي أنك لا بد أن تعري أشياء عن بلادي. ونظراً للظروف الحالية فأنني أفضل امتناعك عن إجراء أية اتصالات مع أي شخص خارج بيتي لأنه إذا شك كارلوس في حبك الأمر لن يتوانى عن استقلال ذلك»

«ولكن هل سيعرض علي من بدأ من خلال لأرحل قبل انتهاء فترة الأشهر الستة؟ أنت أنه يستطيع أن يتحمل هذا التعب الآن»

«أنت وريكاردو السيارة فجأة وفي وجهه تعبير غير واضح وقال لها المبلغ الذي عرفت عليك مقابل الخدمة التي ستؤدينها من مالي الخاص. كانت أمي تريد أن تترك لي كل شيء تحت الوصاية إلى أن بلغت سن الخامسة والعشرين. استاسياندوزا تعني بالنسبة إلى أكثر ما تعنيه من ناحية القيمة المالية... سيقدر كارلوس يحصل على دخل من الاستاسيانوزا ومدى الحياة»

«لقد قرر له أن يأخذ»

«سأبذل هذا الدخل... أنك تبدين اهتماماً واضحاً بكارلوس هل تحبين إيزابيلا لأنها تحظى بعناية هذا الرجل الليلة»

«أحمر وجهها في الظلام وهي تقول له:

«لا ذكر مضحكاً»

«لأنك بعنفها وأسفل ذنبتها وأخذت رأسها مما جعلها تصرخ في ألم وقال لها:

«يايك أن تقولي لي هذا الكلام مرة أخرى»

«وأخيراً يقول في هدوء:

«ونظرت ليان إلى المدعوين من حولها وهم يتحدثون لغة لم تتفهمها بعد... ليس عائلتها... وهي لا تصدق أن ما تعنيه هو الواقع وأن ريكاردو هو زوجها فهي لا تعنيه بل ولا تشعر بوقته تحو»

«وهو بالإضافة إلى صبر عليه يميل إلى القوة في تعامله، إذ لم يكن هناك حاجة لكل تلك المواجهة وفي هذا الوقت بالذات، لقد فعل ذلك لكي يعاقب إيزابيلا أيضاً مع كارلوس. ولكن كارلوس لم يسلبه أبداً وأما نال ما هو عليه فعلاً فقد أحبه إيزابيلا وهو ما يتضح من الطريقة التي تنظر وتتحدث به إليه. ألا يرى ريكاردو أن من الظلم أن يعاقب امرأة لأنها اختارت أحد غيره؟

«ولم يشأ ريكاردو أن يمكث أكثر لحضور الحفل الراقص الذي يستمر حتى المساءات الأولى من الصباح وقال:

«قدنا برحلة طويلة وما زال علينا أن نقطع مسافة أخرى إلى بيتنا»

«ونظر إلى كارلوس في يده»

«كلا منكم هذا هو بيتنا الآن، لقد فزت باستاسياندوزا ولا أريد أن جزء منها»

«وفي الطريق المظلم الذي قطعته السيارة قالت ليان لريكاردو: هذه أسوأ تجربة مررت بها في حياتي»

«وكذلك بالنسبة إلى»

«ولمّا فعلت ذلك إذا»

«وأوضحت لك السبب. كان ضروري أن أنهي الأمر معه وبهذه الطريقة يظن كارلوس لقبول الأمر الواقع. إذ لا يوجد انسان يريد إثارة المتاعب في يوم عرس»

«أعتقد أن كارلوس تصرف بطريقة ملائمة»

«هناك تبدين الإعجاب به»

«لقدت عليه في لحظة

«انجذبت نحو كارلوس في الحال. لمست ذلك في عينيك»

وجذبها نحوه بصف وبلا أية عاطفة وهي لا تستطيع الفكك من قبضته وعندما دفعها الى الكرسي بعيداً عنه شعرت بأنها قد جفت من أي شعور نحو حتى من الكراهية ولم تستطع أن تنظر اليه عندما اوقف السيارة مرة أخرى فجاً وبعثب»

وعندما وصلا الى مزرعة مندوزا لاحظت أنها أكبر بكثير من المزرعة التي غادرها منذ حوال عشرين دقيقة. وكانت الأشجار منتشرة فيها وبها الكثير من المباني التي تتلأ داخلها الأتوار واصطعبها ريكاردو نحو باب المنزل الذي يؤدي الى قاعة فاخرة فيها أثاث ضخم ومدة قند من الأرض الى السقف. وقد زينت بأحجار مائقة للأحجار الخارجية وهبطت سيدة عجوز على السلم وجرى ترحب بحبي ريكاردو. وقال ريكاردو لليان بالانكليزية.

«هذه هي إينيز رئيسة الخدم، عاشت مع أسرة مندوزا لأكثر من أربعين سنة»

ثم قال لاينيز بالاسبانية.

«هذه زوجتي ليان. انها تتحدث بلقنا قليلاً. وحياتها إينيز يجفاف وبدون أن تبتسم»

وطلب منها ريكاردو اعداء الغرف القريبة. فسارعت بالصعود لتلبية طلبه وسأل ليان اذا كانت تفضل تناول مشروب أثناء الانتظار فطلبت فنجاناً من القهوة وأعرب لها عن أسفه لأنه يجيد نفسه مندفعاً للحدث بالاسبانية بصورة أسرع بعد عودته الى بيته. فقالت له أن هذا أفضل لها فهي تستطيع أن تفهم قدراً أكبر من الكلام اذا قيل لها ببطء محلول. وقال لها بدون أن يفقد التروء «هنا سيجر المزيد من المتاعب عما لو تحدثت بالانكليزية»

وجلبها من ذراعها مرة أخرى وصعد بها الى غرفة واسعة مفروشة بالسجاد الكثيف الفاخر. وفيها عدة أرائك وموائد منخفضة موزعة في أرجائها. وبعضها مطعم بالفضة والبعض الآخر على بأنواع مختلفة من الخشب. وتؤدي الأبواب

الخارجية الواسعة الى شرفة مغطاة. في حين تؤدي القناطر الى الفناء المركزي.

جلس ريكاردو على زجاجس قانلاً

في الغرف في الطابق الأرضي تؤدي الى الفناء الذي تطل عليه غرف النوم الصغيرة. وجرى العادة أن يتناول الضيوف الطعام في تلك الغرفة الصغيرة. فهي حار البيت كله

أعطى ريكاردو أوامره الى الفتاة التي ردت على ندائه. وجلس على أريكة مزينة ليان وانتظرت ليان حتى أنشعل سيكارا وقالت له:

«بيك جميل يا ريكاردو»

ثم تلياً منذ وفاة أمي. كان فوقها يميل الى الخطوط البسيطة وثقلت القاعة حجة وحدها محتفظة بالطابع الاسباني»

وتد إنباء ليان لوحة معلقة فوق المدفأة تحت امرأة شاب حل الجبال الأسمر الحلة نفسه الذي لمسه في إزابيلا. وسألته:

«من أنت؟»

«أنا ريكاردو. طالت تلك اللوحة بعد زواجها بوقت قصير»

«كانت جميلة جداً»

«نعم. كانت في الأربعين فقط من عمرها عندما توفيت»

«من كان عسك وقتئذ»

«سبعة عشر عاماً. وهي من تكفي لأن يشعر المرء بوطأة الازعاج على القلب. انزل كانت مندوزا اسبانية. ثلث حجمها الحالي قبل أن يتم ضمها الى حرم أسرة أمي»

«نعم. ليان اذا كان يقصد بذلك أن أباء تزوج من أمه لهذا الغرض هذا سوف يقهر الكثير. وخاصة لما يتعلق باصراره على عدم السماح لريكاردو بأن يتولى الاشراف على الأرض التي هي من حقه بالوراثة عن الأبوين»

«نعم»

«كالمواحة أو كجزيرة في بحر لا نهاية له من العشب. وهي قد تحتضن على
الحد في أرض ريكاردو ولكنها لن تتعلم أبدا كيف تعبها والواقع أنها لا
تحتاج إلى هذا أكثر مما تحتاج لأن تعب ريكاردو. إن هذا الزواج ليس بزواج
خبيث. وعليها أن تظل - تردد - لنفسها هذا: إنه ليس حقيقة».

«لا يوجد أحد من أقرباء أمك على قيد الحياة»
«أختان، وهما خائنتان، وتعيش أحدهما في بونيس آيس»
ومن دون حاجة لأن يتضح لها أمرت ليان أنها بمحصلان على دخل من
الاستاتيا

وأحضرت الفتاة جوانيتا الفهوة المرة وهي تبسم فحيتها ليان سعيدة
رأت مودة في وجهها.

واحتست نصف الفئجان ونظرت إلى ريكاردو قائلة:
«أسفة لما التفت مني من حديث فلم أكن أفهم كل الظروف المحيطة ...»
فقال في تهكم:
«وهل فهمت الآن»

«أفضل من ذي قبل. ولو أنك شرحت لي هذا كله من قبل...»
«قلت لك فقط ما اعتبرته ضروريا لأجلك كخلصين لاختلافنا. ولا تتوقعي مني
أن أعتذر لك عما حدث بيننا ذات تستحقين هذا. ولو أنك أثرتني وفهمتني إلى
الغضب مرة أخرى سأجد وسائل أخرى للتنفيس عن نفسي»
«لن يتكرر هذا مرة أخرى»
«وأنا واثق من هذا»

وحضرت إينيز لتخبره بأن الغرف جاهزة.
فقال ليان:

«ستعرفك إينيز. يمكن نومك عندما تفرغين من تناول فئجانك»
فسارعت ليان بإبلاع القهوة غير عابئة بما أحدثته بسخونتها الشديدة في
شفثيها. وقالت أنها جاهزة، فصعدت خلف إينيز التي اصطحبتهما بدون أن
تتلق بكلمة واحدة إلى غرفة لها حمام خاص. وهي غرفة فاخرة واسعة ذات مظهر
حديث وفيها مدفأة.

وفتحت ليان باب الغرفة المطل على الشرفة لتتنشق رائحة الزهور
المنتشرة حول البيت الذي تحيط به مختلف النباتات.

من الغريب أن كبير عمالك لا يتحدث الانكليزية على الاطلاق ورغم ذلك
أحد صعوبة في التعبير عن المعنى الذي يريد، انه يلجأ في الركوب.
ورد عليها ريكاردو بابتسامة متحفظة وقال:
«سبح خوسيه هو ركوب الخيل»
«سبح تحت امرتك»

٤ - الصور المشقوب

«سبح تحت امرتي وأمرة مديري الاقسام المختلفة»
يظهر اليها في تفحص وهي تقف في الفناء تحت أشعة الشمس يردائها المكون
من الجيز الأزرق والقيصر القطني المخطط وأضاف:
«يجب عليك أن تلبسي ملابس أكثر ملاءمة لأنك اذا ركبت الخيل لساعة
طويلة تلك الملابس سوف تبلى نتيجة احتكاكها بالمرج الجلدي»
«سبح خوسيه قراء ثمة لأضعه فوق المرج وهو مريح جداً»
«فعله الشيا لا يخلق ذلك»
«فعله في حيا وأضاف:
«لو أنك أعطيتني مقاسات جسدك لأحضرت لك بعض المراويل
بأحذية انلاية لذلك»
«وكان ريكاردو نفسه يرتدي بنطوناً جيلاً مخصصاً لركوب الخيل وحذاء
جداً طويلاً لامعاً كشعر الأسود اللامع تحت أشعة الشمس»
«بعضاً سأله اذا كان سيخرج يوماً برأسه وقال:
«سبح لأرتب عملية وشم الماشية بالعلامة التجارية. فالتفحص يجب أن يكون
جهداً للشحن في نهاية الأسبوع»
«سبح مكان بعيد»
«سبح الشحن بالسكك الحديدية تبعد مسافة ميلين، هل ترغبين في مرافقتي»
«سبح بالتأكيد»
«سبح أرادت ثيان أن تذهب الى أي مكان على سبيل التعبير حتى ولو كان
حتى ذلك أنها ستمضي الوقت مع ريكاردو. انه الشخص الوحيد الذي يمكنها

اختارته ليان الى أسبوع لتعتاد على مناظر الأتلاق المشابهة التي لا تنفد
والتي تحيط بأرضي مندورا من ثلاثة جوانب. ولم يعرضها بعض التي
سوى مناظر سلسلة تلال سيروا دي تانديل الجنوبية ذات الصخور الجرانيتية
التي تشبه كثيراً صخور بلادها انكلترا. بقي السكن من تلك الصخور التي
أخضرها جد ريكاردو من تلال سيروا منذ خمسين عاماً.
«كانت صباح أبلغ ريكاردو ليان أنه نادراً ما كانت تلاحظ المزرعة من ست
شيوخ على الأقل. ويتذكر عندما كان طفلاً الرواد يقفون عليها بملابس
الجميلة في المناسبات المختلفة ويستمعون الى الموسيقى. وقال:
«كانت هناك مناسبات عديدة قبل أن ترفض أمي»
«وهل استغرق مرضها فترة طويلة»
«وبدل وجه ريكاردو وقال لها أنها ظلت مريضة لفترة طويلة جداً. ثم غيّر
يجري الحديث وسأله:
«ما مدى تقلبك في تعلم ركوب الخيل»
«وقيلت ليان هذا التعبير في يجري الحديث بدون أن تبدي أي رد فعل. لذلك
وأجابته:
«ان خوسيه يجعلني أركب الحصان بدون أن أمسك اللجام حتى أعتاد على
حفظ توازني»
«وابتسمت قليلاً وأضافت قائلة:

التحدث إليه بوضع كلمات انكليزية . ورغم أنها تتقدم في تعلم اللغة الألمانية إلا أنه مازال أمانيها الكثير.

وخلال الأسبوع الأخير سارت الأمور في نبط منسجم . كانا يلتقيان عند تناول وجبات الطعام ويلتقيان أيضاً خلال النهار ، إلا أن ريكاردو كان يقضي معظم الوقت بعيداً عنها حتى يتجنب البقاء معها لفترة طويلة . ولم تكن تلمحه فبه كانت تعلم اضطرابه للعمل في الاشراف على مزرعة مندوزا . والعرض الذي قدمه إليها أصبح الآن حقاً مسلماً به . لريكاردو ولا يمكنها أن ترفضه .

أحضر لها ريكاردو قبة تشبه قبعة التي قال من قبل أنها كانت ملكاً لأبيه . وهي محشوة من أعلاها للوقاية من الصدمات عند السقوط . مثل تصورات ، إذ يبدو أنه لا يسقط من فوق الحبل في تلك المناطق سوى النساء . وترجعها سويلاً إلى اصطبل الحبل القريب من المنزل .

أثناء امتداد المرح على ظهر الحصان الذي ستركبه انتهزت الفرصة لتلقي نظرة أخرى على وأجهة المنزل وهي لا تصدق أنه مترفاً ولو لفترة محدودة .

إن بيتاً كهذا ينتشر في مندوزا يحتاج إلى أطفال ملقح جو عالي . هذا ما فكرت فيه ليان وهي تلمس بعضلات صدرها تنقبض قليلاً . ولكن لن يكون في هذا البيت أطفال بالمرّة لأن ريكاردو لا يرغب في الزواج الدائم . وعندما ترحل سيعيش وحيداً إلا من الحظ . وسوف تتولى إيشيز بلا شك رعايته إلا أنها عاجوز لم تقود على التحدث كثيراً . قال من إذاً يلجأ رجل في مثل ذلك ومعلوماته من أجل التشيط الذهني خلال المشوات المقبلة . معها كانت الاختلافات بينها فقد أتاحت له على الأقل قدرًا من التشيط الذهني من خلال مسائل ناقشاها أثناء الفترات القصيرة التي أمضيها معاً .

وأحضر السائق أنقى الحبل التي اعتادت ليان أن تتدرب عليها وأوقفها إلى جانب الحصان الأسود الضخم الذي يركبه ريكاردو عمادة ولا حيل . ريكاردو أن أنقى الحبل تصدر عنها حركات عصبية عنيفة فظهر السائق وطلب منه احضار غيرها . وقال ليان أنها لو ركبها لكان في ذلك خطر مؤكد

من حيتها وأمنها .

« يحضرون أن الحصان الخاص بي صعب جداً في قيادته »

« تركبه بذاً صعباً في قيادته إلى هذا الحد »

« ليان وهي تقضي اضطراباً وهي لا تعرف أي حصان آخر سوف يركبه من ذلك الذي أعيد إلى الاصطبل . فقال لها أن السبب في ذلك هو أن الحصان الخطير يجعله يشغل به ليس فقط بيده اللذين تمسكان بزمامه بل أيضاً

« أحداً لا يمكنه أن يسيطر على هذا الحصان واليفاهم والصلة القوية التي تربط بين الرجل والحيوان لا تمنع ميل الحيوان إلى طبيعته وحياتك كانت مستعرضة لخطر شديد .

« أطلقت ضحكة مصطنعة وهي تقول :

« كنت متعب لانتقائي بالأسلاك »

« لاحظت أنه يرفع أحد حاجبيه وهو يقول :

« لحظة أنت من هذا »

« قلها بلهجة جعلتها ترد عليه بالندفاع :

« سأنت تريدني أن أظل على قيد الحياة للوفاء بشروط وصية أبيك اليس

« تضغط على شفتيه وهو يقول :

« غير بالضرورة ، فالشيء الوحيد الذي يؤدي إلى الإخلاق بشروط الوصية هو

« تلك الرحيل قبل انقضاء الفترة المحددة . ويمكنني أن أؤكد لك أنك لن ترحل .

« ما إن حصانك جاهز »

« ليان إلى حيث يقف الحصانان في انتظارها وقد ارتسم على شفتيها

« ضحكة خافتة ترعب في ذلك ، ولكن ريكاردو ليس الرجل الذي يجعلها

« تلمس شفتيها بدون أن ينزل بها العقاب . كالميتة ليس لمدة ستة أشهر فقط وإنما

« إلى الأبد .

خصص لها هذه المرة حصاناً ذكراً، وساعدها ريكاردو. التفتطي صهونه في حين أخذت عينها الحصان تدوران نحوها. وأخذ ريكاردو يديرها على الطريقة الصحيحة لركوب الخيل وكيفية التحكم في اللجام والتعامل مع الحصان. ساعدها كثيراً وجعلها تقول له: «لا أذكر أنني ركبت من قبل حصاناً مثل هذا». ورد عليها في سخرية: «أعلموا تعليمك يا صغيرتي.. ولد يلد خوسيه. وقته هذا البطل في تدريبك». ثم سألتها فجأة: «ألم يسبق لأحد أن أحبك؟» «كلا لم يحدث أبداً».

وسألته وهي تتحاشى النظر اليه وقد أخذت نبضات قلبها تسرع: «وهل كان هذا يعدني أكثر؟» «تكان سيتوقف على الرجل نفسه. وسيحتاج أولاً الى إخضاعك قبل أن يبدأ في حبك. وليس بقدر كل الرجال القيام بهذا».

واعترضت ليان: «أثناء موقعة سريعة من الانفعالات لما كنتها، أن في مقدور ريكاردو أن يفعل هذا. إذ أثبت فعلاً مقدوره الفائقة على ذلك ليلة أحضرها الى مزرعة مندورا. ولكنه فعل هذا في ثورة من مشاعر الغضب وليس عن رغبة فيها. سألته بسرعة: «أين تذهب كل تلك المياه الغزيرة. أمطرت السماء ثلاث مرات في الأسبوع الماضي ولم يبق منها شيء فوق الأرض؟»

«هناك عدد ضئيل من المنخفضات العميقة التي تحتفظ بالمياه أكثر من عدة ساعات. فالأرض اسفنجية مما يجعل المياه تتسرب بسرعة من خلالها. وهذا هو السبب الذي يجعلنا في حاجة الى استخدام الخزانات لحفظها. أما فوق تلال سييرا فالأمر يختلف لأنك ستجدين هناك المجاري المائية والبعيريات نظراً لأن التربة الصخرية يمكنها الاحتفاظ بالمياه على سطح الأرض».

ونشرت ليان الى الأفق البعيد وسألته: «هل حق لك أن ذهبت الى تلال سييرا؟» «صحت اليها كثيراً.. ولكنني لم أتوجه اليها منذ بعض الوقت».

«لماذا ليان لنفسها أن ريكاردو وربما لا يريد الابتعاد عن أرض مندورا؟» «لأنه يسبح لكارلوس أن يحكم قبضته عليها؟ وسألته بصوت مرتفع: «هل تسمح لي بزيارة هذه المنطقة؟ لدي رغبة في ذلك».

«يمكنك الذهاب وحيد. فالتلال قد تبدو لك قريبة. ولكنك تحتاجين الى يوم كامل للوصول اليها على ظهر حصان».

«يمكنني أن أذهب اليها بالسيارة».

«لا ردي مازال هو الرقضي القاطع. لأنه من السهل أن تضل الطريق هناك. السيارة لها قدرة محدودة على اختراق الممرات. لكي تتمكني من مشاهدة تلال سييرا يجب أن ذهبي اليها على ظهر الحصان».

«أفكر في نهاية وهو مسترخ على ظهر حصانه وأصاف: «لقد قمت برحلة قصيرة تستغرق يومين أو ثلاثة الى تلال سييرا بعد أن تنتهي من عملية شحن الخراف».

ورمته بسرعة وسألته: «هل ستقوم بهذه الرحلة نحن فقط؟» «نعم عليها برفاق».

«ولم لا؟ إننا أمام العالم رجل وزوجته. ومن الذي يدري أو يهتم بما إذا كنا نبيت في خيمة واحدة أو خيمتين؟»

«من الذي يهتم فعلاً؟ وخلال موقعة من الانفعالات التي انتابها استحدثت الحصان على المطولة في حين انتصيت واقفة على قدميها وهي على ظهره. فأمرها ريكاردو في حدة أن يجلس وقال لها أنها ليست في لندن، وأن الوقوف أثناء حركه الحصان لا يحدث الا في العروض الاستعراضية وعليها أن تتواءم مع الطريقة الأرجنتينية في ركوب الخيل. وعرفت منه أنه سبق له أن زار لندن

وسأله إذا كان غاضباً فأجابه بأنه غاضب إلى حد ما لأنها تصيح أسلوباً يثير غضبه فأعربت له عن أسفه. ولكنه قال لها:

«كلا انك لست بأسفة. وإن كان هناك ماأسفين له فهو طلبك مني أن أساعدك تلك الليلة في ملهى ريبوس».

وقالت له وهي لا تنكر هذا:

«لم يكن أمامي أي بديل آخر».

«هناك بديل دائماً ولكنني أعتقد أنه لم يكن بمتورك» في مثل هذه الحالة، أجبته بديل أفضل».

«ومن المؤكد أنه لم يكن سيئاً عليّ مثل هذا الريح الزخيرة».

وكان الحصانان قريبين من بعضهما إلى حد جعله يمسك قراعها بقوة فالتحسرت سافهما بين الحصانين مما جعلها تنأوه وقال لها ريكاردو:

«استدعيين بعيداً جداً يوماً ما. أنتي أحتاج اليك ولكنني لم أقم بشرائك».

وكان ليان تنأله ولكنها رفضت الاستسلام وسأله:

«وملأنا نصف هذا الآن».

«هاته تعويض عن ضياع وقتك ولحسنتك».

«هاتك فجاهل في أمور تافهة».

ورمقها في حدة وهو يقول:

«كلا... ولو أنني اشتريتك لطالبت بالحصول الكامل على ممتلكاتي في ليلة عرسنا».

وهل تصيح حفاك في فسح عقد الزواج».

«هناك وسائل أخرى لفسخ العقد فأحرص على ألا تضطريني إلى البحث عن إحدى تلك الوسائل».

فنازلت أن تطلب حلقها الذي جف فجأة وصاحت فيه:

«ريكاردو...».

«قد يفيدك أن تفهمي معنى الخضوع للرجل وقد تحترمينه عندئذ».

«لست سأكرهك. لو لمستني...».

«لست الآن. تقصدين لو أخذتك عنوة. ماذا كنت ستفعلن إذا؟».

«سأكرهك وستري».

«ظننت اليه نظرة متعجزة ولكنها أصبحت بسرعة أنها أخطأت عندها رأيت تعبيراته تتغير وسأله».

«هل تصديقتي؟».

«نقلت وقد جف حلقها مرة أخرى وهي تتجنب النظر إلى وجهه».

«كلا أنني لم أكن أعني ذلك».

«قال لها في سخرية».

«لمست». ولكن ما زالت هناك ظلال ليكلياتك. تصايقتي. فهل تريدني سحب إلى تلام آخر قلته منذ لحظات؟».

«هل ذلك».

«أرأسك بما وهزها بعنف مما جعل حواسنها يتقدم خطوات فاستجبت حواسها هو ثم على التقدم إلى الأمام ليسيراً إلى جواره وقال لها بدون أن يتركها».

«هل الأفضل لك أن تقبلي الآن».

«حسناً. إن أحدا لم يشتريني».

«لمست أنصني ما تستطيع لكي تلمسك بما تيشي لها من كبرياء ورفعت رأسها في الحدة وهي تضيف»:

«هل استجرت. هل هذا أفضل؟».

«ظهر لحظات إلى وجهها المتجهم وقال لها أنها تحاول تسوية الموقف في تأفف». ثم تركها فأخذت تدلك أعضائها التي تؤلمها وسأله».

«هل جازلت ترغيبين في مشاهدة الماشية وهي توشم بالعلامة التجارية».

«نقلت في كابة».

«هل ألا يتم وشمي أنا أيضاً».

«نستم قاتلاً».

«ستحتاجين الى وشك أكثر من مرة لكني تظنني، ولكنني مصمم على أن أفعل».

وبينا أخذ يقدم بحصانه حديثها نفسها بأنه كانت تهديداته لها لم تنظر في مأمن منه لأنه لا يمكن إلغاء الزواج إذا دخل بها وأية وسيلة أخرى يلجأ إليها لنسخ الزواج ستكون أكثر صعوبة، ولهذا فإن أي قدر من الاستفزاز لم يسيء مصالحه.

ووصلا إلى محطة الشحن بالسكك الحديدية وهناك رأت قطعتان كبيرتان من الماشية محتجزة داخل أسوار مرتفعة من الأسلاك ويتم وضعها بالنار بالعلامة التجارية لمزرعة مندوزا. وخرج من وسط فريق العمل أحد العاملين وأسرع نحو سيده ريكاردو، بعدما حيا ليان التي ردت عليه التحية بثلاثتها، وأخذ يتحدث معه في كلمات فهمت منها أن الأمر يتعلق بالحراف والسور، وعيهم وجه ريكاردو وقال لها أنها سيهدان في الحال وانتظرت حتى تم إعداد حصانيتها فركبتها ثم سأله إذا كانت هناك مشكلة فقال أنه سيحدثها عن ذلك فيما بعد وأن المشكلة كان يمكن أن تحدث لو لم يعد خوسيه العبد للعاجلة الأمر وأضاف قولا:

«ألتصبت بعض خراف مزرعة ريمبا السور الشرقي لأرض مندوزا، ولكن خوسيه من إعادة تلك الحراف وسد الثغرة في السور».

فهمت، لم يحدث أي ضرر إذاً.

ولكن تغييرات وجهه ظلت متجهمة أضاف:

«خوسيه يعتقد أن الثغرة حدثت في السور عن عمد».

وسأله بسرعة:

«ومن يمكنه أن يفعل هذا؟»

«ربما يكون كارلوس هو الذي قام بذلك فهو يعرف مدى بغضي لوجود الحراف في أرض مندوزا».

«ولكنه سيكون تصرفاً لا جدوى من ورائه. لأنه مع تلك المساحات الممتدة من

الأرض سيطلب الأمر عدة أشهر حتى تستطيع مئات الرؤوس من الضبان صحت أي أثر محسوس».

فرد عليها بصبر نافذ:

«إن الأمر يختلف. فراس واحدة أو ألف رأس، كل هذا لاجم وحوصت ليان عن التحدث بشرة حيادية وهي تقول له:

«لقد قصد أن المسألة تتعلق باللبأ نفسه، أليس كذلك؟»

«هذا صحيح. فإن فرنسيسكو ريمبا يستطيع أن يستخدم أرضه كيف يشاء لكني لن أسمح لأي من خرافه بدخول أرض مندوزا».

«ربما تكون قد دخلت عرضاً، وربما يكون خوسيه أخطأ في تصوره».

«ربما يكون خوسيه يعتقد أن أسلاك السور قطعت هناك قليل من الشك في أنها قطع. وبالصحة من أذا تضربين هذا الشك: الصلحة كارلوس».

صمت شفتها وقالت:

«ربما أريد مصلحتي ولكنه أن يحسبها من وراء ذلك».

«ربما هي شينا، ولكن سيكتفي كارلوس أنه تيج في انتهاك حرمه أرضي».

«ربما لا شق طريقها في صمت قبل أن تسأله ليان.

«ما الذي سيحدث الآن؟»

فرد كلفيه باستخفاف وقال:

«سيذهب إلى البيت ثم أستقل سيارة وأوجه تحذيراً إلى أخي غير الشقيق».

«أين تحذير؟»

«لقد تحذير لن يغطي فهو معناه، ولو تكرر ذلك مرة أخرى فستتم إطلاق النار على أختاه وأرسلها إليه ميتة».

فالتفت ليان أنفاسها وقالت له:

«إني لن تفعل ذلك».

«لن سأفعل».

«لقد لعبت حزمة لاتراجع فيها واستحث حصانه على التقدم ووجهه متجه».

وأدركت أنها ضابته يدقاعها عن كارلوس ولكن كان لابد أن يأخذ أحد
جانب الثقل في هذه المسألة.

ولم يتحدث بعد ذلك إلا لما حتى وصل البيت وما أن هبطا من فوق
حصانها حتى يأمروا ليان يقطعا
«أرجو أن تأخذني معك»

«كلا ، سنتظرين هنا إلى أن أعود»

وأدركت من نبرة صوته أنه لا يجرى من محادثته. وراقبته وهي تشعر أنها
لا حول لها ولا قوة وهو يتحرك بالسيارة نحو بوابة المنزل ويستعد.

٥ - ظهور ابن البلد

انطلقت ليان طعام الغداء وحدها وهي جالسة عند أحد أشراف المائدة
الكبيرة. ولقدت لها خوانيتا القهوة لشكرتها بالاسيانية وهي تأمل كسب
حسابها. فالخدم في هذا المنزل يعاملون معاملة حسنة لكن قواعد البروتوكول
غير بصرامة. ولم يكن أمامها ما تفعله سوى انتظار عودة ريكاردو. ولقدت
سليماً ريكاردو تقرب وهي جالسة خارج المنزل بالقرب من الكرسي الحجري
الذي لا بد أن ترقصه السيارة وتوقف ريكاردو وأمل لما وهو يرفع حاجبيه
يظهر أن المكان ليس مريحاً في الداخل مما جعلك تجلسين في الخارج هكذا
المرحلة

فدنت عليه وهي تهبط وافقة.

شعرت بالسأم. ولم يترك لي الخدم شيئاً لعمله.

وحاولت أن تستكشف من وجهه ما حدث لكن بدون جدوى فسأته:

«كيف سارت الأمور»

«كيف تتوقعين أن تسير؟ لم يحدث عراك، إن كان هذا ما كنت تأملين في
سأله»

فهيأت رأسها باحتجاج وقالت:

«لاني لا أريد تشوب أي شجار بالزرة بينك وبين كارلوس ، وما الداعي لأن
تصبح لنبي مثل تلك الرغبة»

«لا أريد السأم عندك ، فالمنازعات العائلية هي عادة مصدر ترفيه لمن لا شأن لهم

امرأة بلا مخالب

بما خير أن كارلوس ليس من العائلة بالمعنى الحقيقي للكلمة كما يعتقدون. في
شجرة الغرام... أليس هذا تعبيراً مهذباً؟

وأخذت ملاحظته تردد قسامة وقال:

«الشيء في التعبير الأكثر ملاءمة. وليس هذا بالموضوع الذي سأناقشه بعد
هنا، تعال إلى السيارة.»

وقالت في طجة احتجاج:

«البيت ليس بعيداً عن هذا المكان ويمكنني أن أذهب إليه سيراً على الأقدام،
ورميتها بعض الوقت فتنهدت وتحركت لأشاعته. وأجبت وهي تنهد
بالهتاف، بأنها هي وريكاردو يقضيان عند طرفي نقيض. لم تكن تقص
بالضبط الكلام الذي قالته عن كارلوس. لأن هذا كان معناه ذو المنح فوق
جراح من يتطلع إلى الانتقام إلا أن شيئاً في نفسها منعها من تقديم اعتذار كامل
لأن ريكاردو لم يكن على حق تماماً في هذا الموقف.

وسأله عندما وصل إلى المنزل:

«هل تناولت طعامك. أريت أنتظرك ولكن إينيز أصرت على أن أتناول
الطعام في موضعه المخصص.»

«إينيز على حق لأنها لم تكن تعلم أنني أعود.»

ونار حول السيارة وفتح لها الباب لتزل وهو يقول لها:

«بدأت تبغضين قبول المجاملات الصغيرة المنتظرة من الرجل تجاه المرأة. وكنت
منذ أيام قلائل فقط تتركون مقعدك في السيارة حتى قبل أن أترك نفسي مقعدي.»
«منذ أيام قلائل فقط كانت لدي روح المبادرة ولكن يبدو أنك أضعفت في تلك
الروح أيضاً.»

فصاغت عيناه وهو ينظر إليها من ارتفاع ست بوصات هو فوق الطول بينها
ويسألها:

«سأية صفات أخرى فقدتها منذ مجيئك إلى أرض مندوزا؟»

فتأملت وهي تزيح خصلة من شعرها عن وجهها وتجنب النظر إليه.

أمر الآلة محال

في البيت كنت أتكلم لمجرد الكلام، فقلت قهقري أقول أشياء لا أعنيها.
أحد ينفق ذلك، ولكنني أملك بأنك لا تقولين دالياً ما تعنيته.
سار نحو المنزل لينتهي الكلام في هذا الموضوع وتركها تسير ورأته وهي
سبقت بخطوة عما يعتقد أنه مكانها الصحيح، وذلك حسب ما تصورته، وفكرت
في حالتها ونساءلت بينها وبين نفسها عما قصدته من وراء تلك الملاحظة البهيمية.
في تلك اللحظة عميقاً بداخلها حفرة إلى هذا الكلام، أنه شيء غريزي لا سيطرة لها
على انزعاج عقلها قليلاً لئلا يحجب عواطفها تماماً.

سارعت إينيز عندما رأت سيدتها تستقبله، وهي عادة تنصرف بروح
جيدة في حضور ريكاردو. وعندما سألته عن أي طلبات يريدتها أجابها أنه
لا شيء طبعاً وأنه يريد منها - أعداد القهوة ليتناولها في الحلاء. وأرشدت ليان
أن تقول أنها تناولت القهوة فعلاً. ولكنها سكتت وأحسنت بأنه لا بأس من
تناول القهوة مرة أخرى خاصة وأن ريكاردو في مثل حالته هذه يحتاج إلى من
يهدئ ويرفقه عنه. وأرادت ليان أن تعرف ماذا جرى في منزل ريكاردو.

كانت في إقناء ظلال بسيطة كالعادة في مثل هذا الوقت من النهار. ورأت
في المزارع المسن انريكو يربط وقد انحنى ظهوره بفعل تقدم السن
بسبب العمل الدائم والدائب في المزرعة، فالمنطقة الجسدية المحيطة بالمنزل تدره
على هذا الرجل الذي سيخلفه ابنه من بعده في أداء المهمة نفسها فأولئك الذين
يخدمون في المزرعة يعتبرونها بيتهم تماماً مثل أي فرد من عائلة مندوزا.
وتقيم داخل المزرعة عائلات قاعة بحياتها التي تقتصر لأي شيء يقرب من

البيت.

ووجدت نفسها تبأله فجأة:

هل رأيت إيزابيلا؟

ورد عليها وهو يخفي مشاعره:

سأريتها وهي تلبسك تحياتها وتقنياتنا بأن تكفي مع الأشياء الكثيرة التي

غرق بين هذه البلاد وبلاذك.

أمر 51 بلا مخالفة

إيزابيلا : لها بصيرة نافذة.

لقد عليها بهجاف:

والها امرأة.

فرمته بنظرة سريعة وهي تقول:

«ألا توافق على أن بنتا شينا مشتركا؟»

ويضى النظر عن اختلاف الشافعين تشركان في الغرائز الانسانية وهو ما لم
عن تصرفات كل منهما.

وان كان ما فهمته صحيحاً فذلك يعني بكلامك تركيز الاهتمام على الطب
الرئيسي. وهل تظن ان إيزابيلا لم تتزوج من كارلوس الا بسبب اعتقاد
بأنه قد يفتك الضيعة ؟ ان كان هذا صحيحاً فإنها كانت متعققة النتيجة قبل
بزواجها منك.

فقال في حدة:

«ان أحداً لم يطلب منها الزواج مني. وكفى كلاماً في هذا الموضوع.»

وأحست بأنها قالت أكثر من اللازم. فلقد أحب ريكاردو إيزابيلا وقتها
عندما تزوجت من أخيه غير الشقيق. وكان على وشك أن يفقد معها الامانة
أيضاً وهو لا يريد أن يفكر أحد بذلك. وبرت الفهوة في فمها لكنها تناوت
ورغم ذلك وهي تشعر بالجوارح التي يحيط بها. وأحست بالاندة المستمرة
للحاج الذي يفصل بينهما. وخامستها فجأة رغبة في أن تلمس يده اليسرى
يضعها على الخانة. فهذا الرجل زوجها ورغم ذلك لا تقتل أي مكان في حين
وتسألت ما يمكن أن يثير الحيوية فيه. وقالتك نفسها فجأة هي محتوجة ؟ ان
شيء تريد هو أن تقيم معه علاقة عاطفية من أي نوع. وكسرت حدة السكر
لنساءه.

وهل ستذهب مع الماشية الى لا بلان.

فأجبتها بأنه لن يذهب اليها ولكنه سيلتقي مع المشتريين في بلدة سانت
الأسبروع المقبل لتعديل شروط التعاقد.

امراة بلا مقالب

مقدمة

عزيزي بكفي أن أذهب معك الى جانبنا حيث أقوم بجولة في أرجاء البلدة أثناء
العمل مع هؤلاء الناس ؟

كنت الذهاب فاعلمني أن اولئك الذين يجعلون أنفسهم عرضة للأهانات
بمساكنات يجب ألا يدعشوا عندما يتعرضون لذلك. إنني أتصور إمكان
تربيت طاعة لا تقتل.

أنت مختلف فإنني سأخرج في ضوء النهار.

أمرسين نفسك أمام أنظار الجميع وأنت تحتالين وتباهين بلون بشرتك.

أبيت في حدة:

أنت لا أختال.

أنا يكون هذا صحيحا من الناحية الافتراضية، ولكنك تحتالين الأنظار إليك...
أنت في حاجة الى رجل لحمايتك ولن أكون موجوداً معك عندئذ. سوف أصبح
في جانبنا عندما تتم الصفقة. ولكن أثناء ذلك عليك أن تضعي ما أطلبه
منك بأن تكفي في المنزل.

سألت في حرارة:

أنا ليس بيتي. بل إنني لا أمارس حرجي حتى كصيف.

هذه كنفية بلا مبالاة وقال:

معرفة تعني أكثر من مجرد القدرة على التجول في أي وقت يشاء المرء. أذهب
أنا لأخذ قبولة.

لايكسي اليوم في منتصف النهار.

أنا داعي لأن تنامي. بكفي أن تأخذي قسطاً من الراحة.

أنا أحد لا يذهب الى القرائن في منتصف النهار بسبب الحق، وهو ما يحدث أيضاً
في الكلترا.

ويضا بنظرة طويلة وقال:

أريدن مضايقتي. أنا تقترب من نهاية الشهور الحارة هذا في سهول باسدا.

وفي انكلترا ينشر أن يأتي يومان متعاقبان من الحز الشديد خلال فصل الصيف المعتدلة، والعمل هنا يبدأ مبكراً جداً عن بذابة حاضرات العصور المعتدلة والكتائب في بلادكم. والاعطاش لا تعني الاستغراق في النوم وإنما اغترابها منها إعادة النشاط إلى الجسم والذهن عندما يضربها الازهاق الشديد. وأطرق هنيهة ثم قال:

«إنني أصبر على ضرورة التزامك بملابس بيتنا والبقاء في غرفتك حتى الصباح الرابعة».

ونظرت إليه وهو يرمقها بدون أن تفتني امتعاضها وقالت:

«أظنك تعني أن من الحزن لي أن أفعل هذا».

«نعم. لا بد من ذلك».

«ولكن هذه القاعدة لا تسري عليك بطبيعة الحال».

فاستندت نظراته صرامة وقال:

«أنا سيد نفسي. فهل تطلبين ما يطلب منك أو أجبك...؟»

وأمركت. لسانك لم يريدها أن تحركه الآن فتنهست وتركتها بدون أن تبتز مزيداً من الاحتجاج. ودخلت إلى غرفتها ذات الضوء الخافت المريح وراحت تفكر. يمكن أن يفعله ريكاردو خلال الساعة المقبلة، هل يقرأ أم يجلس ليشتكر ويصيح أنها قد وهبنا فترة بعد الظهيرة سوياً يتحدثان حديث الأصدقاء. يتبادلان الحب... إنها تعتقد أن ريكاردو كان سيصبح رجلاً آخر مع امرأة يجب كان سيداً لها ويحميها ويسلبها بكل ما في الكلمة من معنى. إنها ستصبح حرة منه.

وحاولت أن تخلص عقلها وقلوبها من تلك الأفكار. فريكاردو لا يستطيع أن يحميها. وهي لا تريد أن يفعل ذلك. وليس هناك شيء يمكنه أن يحميها على الرغم ودعائها. ريكاردو لنسحب مرة أخرى بعد يومين إلى محطة شحن المالك بالسكك الحديدية فقبلت دعوته بترحيب حذر. واستيقظت في الصباح الباكر والجو مبلل بالرطوبة المحيية. إنه أفضل وقت على الإطلاق لركوب الخيل من

الحيل . فالحجور متعش وتقي . أصبح ركوب الخيل هوايتها المفضلة لتضاهي
الفرسان . ركبت العديد من الخيول ولكنها أحببت الحصان الذي ركبته لأول
مرة باسم هذا الحصان بالاسبانية هو روجو نسبة إلى لون شعره البني المائل
للأحمر ولم يبق أحد يركوب هذه الفرس منذ أن أبدت اهتمامها بها فهل كان ذلك
شيئاً عرضياً أم مديراً . هذا ما ستحاول اكتشافه .

يوسف ريكرادو ينظر إليها وهو يتسم أثناء مشاهدتها لعملية شحن الماشية
في مرات السكك الحديدية . كانت ترتدي سروالاً فضفاضاً لركوب الخيل كان
مصر والدته وهو يغير شك أكثر ملاءمة من السروال الجينز الذي كانت
تلبس من قبل كما ارتدت قميصاً قامت بشي كميته وتدلّت خصلات من شعرها
من تحت الثيعة وأخذت تتطاير مع النسيم لتكشف عن وجه خال من المساحيق
عند لمسة خفيفة وروية من أحر الشفاه .

يحل لها ريكرادو فجأة .

تتذكر أنك تظنّين كثيراً عن الفتاة التي رأيتها ذات ليلة لأول مرة في ملهى
للياحسين .

تسأله باستخفافه .

هل تغيرت إلى الأحسن أم الأسوأ ؟

تضحك وقال :

أرى الأحسن طبعاً . والألا لما قلت لك هذا . إن أي رجل لا يبني رأيه في شكل امرأة

لأنه لم يكن مجاملاً لها .

لا تفكر كل الرجال بالطريقة التي تفكر بها .

قال كل الرجال ليسوا أرجنتينيين . وقد ظنّين أن اللاتينيين هم محاسنهم في هذا
العالم .

بعد استقداً جازماً بأن اللاتيني يعرف طريقه إلى قلب المرأة .

وكانت تعض لسانها وهي تراه يرفع حاجبيه في بطله ويقول لها .

هل كان لها قلب فانه قد يصل إليه .

وقفت ليان ذلك. كانت كلها نظرت إليه تشعر بالتوتر يعترضها وكانت الأوقات التي تستطيع فيها تسليان طبيعة علاقتها قليلة ومتباعدة في حين اعتادت أن تتخيل نفسها وقد بلغت نهاية فترة الستة أشهر وهي تتسائل عم سيكون عليه شعورها عندما تغادر هذا المكان. أن شطراً من نفسها ينتظر هذا اليوم بلقارغ الصبر في حين أن يعيش مع انسان آخر كل تلك الفترة الطويلة بدون أن يترك ذلك أثراً في حياتها؟ وقالت له بسرعة:

«إنني أشعر بالجوع فهل ستعود لتناول الانططار أم ستنتظر حتى تنتهي عملية الشحن»

«سأعود معك. وستطيع عوسه أن يعنى بالأمر هذا... وباتهاء الشخص يمكنني أن أشعر ببعض الراحة والاسترخاء»

وفي الطريق أطرق حينها قبل أن يسأها في رقة:

«وفي الطريق تشعرين بأن الحياة في المنزل تثير الضجر»

أن استخدام كلية فصرها هو استخدام غير سليم. والكلمة الأكثر ملاءمة هي «الاحتياط» فليس أمامي ما أقوله عدا ركوب القيل والفرامة. وإيتيز لا تسمح لي حتى بترتيب فراشي»

لقد قال لها بيقظ:

«ربما تكون غير راضية عن طريقتك. فقد ظلت تشرف اشراقاً كاملاً على تنظيم المنزل لفترة طويلة حتى أنه ليصعب عليها أن تترك جزءاً من البيت بدون أن تشرف عليه»

وقالت ليان لنفسها أن إيتيز يصعب عليها أن تتخلى عن ذلك وخصوصاً لشخص مثل ليان.

وقالت له وهي تتعمد الاستغفاف:

«لو أنني كنت زوجتك حقاً لكنت...»

فقاطعتها بإبتسامة وقال:

«هناك زوجتي فعلاً. من الناحية القانونية وإن لم يكن من الناحية العاطفية. ومن

«من يمكنك إذا أردت أن تستأفري بأني جانب مختارين من المهام التي تؤديها... وكل ما يجب عليك هو أن تلتقيها بذلك»

«أنت تطيعني»

«أمر متروك لك لزامها بأن تطيعك»

«لنأت إلى الأمام قليلاً لكي نحدد رأس الغرس وروجر في المنطقة بين الأذنين... سأنته بصوت خفيض:

«سأنا؟ وهل تعلم إيتيز أننا لا نذهب إلى القرائس سويًا»

فأجابها ريكاردو في برود:

«هو أعتقد هذا الأمر معها إطلاقاً. وأعتقد أن استخدامنا غرفتين غير متصلتين باب أعطى كل خدم المنزل مجالاً للظن والأقاويل. وفي جناح البيت وكان يجب أن أراعي هذا القصر عند اختياري الجناح الشرقي فيه غرفتان كان يستخدمها أبواي ويربط بينهما الباب الذي حدثك عنه. فهل تفضلين الانتقال إلى هذا الجناح لانتقاء ماء الوجه»

«وجعلتها ملاحظته الساخرة ترفع فخذها إلى أعلى وهي تقول له:

«شكر الوقت قليلاً للقيام بذلك. ألا يشارك الزوج زوجته غرفة واحدة في هذه الليلة»

«أمر اختياري. فالكثيرون يفضلون استعادة عنصر الشويق والاستشارة عن طريق انقضاءها لكي ينجم كل منها على سرير مستقل عقب المعاشرة الزوجية. وأمر متروك للزوجين أن هما فضلاً قضاء الليل كله سويًا»

وقفت ليان أن تسأله عن أي الحالين يفضل ولكنها تجمت استشارة أحاسيسه بهذا السؤال. وسأله:

«هل أن الأمر متروك للزوجين... ألا تعني بذلك أن الأمر متروك للزوج»

«فصلين أنه لا مجال للاختيار أمام الزوجة الأرجنتينية سوى الخضوع لمطالب الزوج»

«يجب لها أن تختاره»

«الرجل الذي يقتصر تماماً إلى المهارة في تحريك مشاعر المرأة لدرجة لجعلها تنفذ بالصبر لا يستحق أفضل من هذا».

«وما من لائحي طبعاً يقتصر إلى تلك المهارة».

فقال إلى الأمام فجأة لكي يسلك بلجام حصانها ويرفقه إلى جانب حصان ولوح في عينيه بريق يحصل في طياته معاني خطيرة وهو يقول لها:

«هل تحاولين استشارتي لأعاشرك معايشة الأزواج».

ونالت له وهي تنسى ألا يسمع خفقان قلبها:

«إن كنت أسعى حقاً لاستشارتك فلأنك تستدرجني لأفعل هذا. وأعتقد أنه تعتمد هذا».

فقال لها وهو يتنسم ابتسامة غير مشوقة:

«ربما تكونين على حق في هذا. وأرجو أن أعلمك يوماً ما المبادئ الخاصة بكيفية التصرف والسلوك».

وزك اللجام واعتدل فوق السرج وهو يقول:

«حاولي أن تتذكري من أجل صانعك ونسبي من أجل أناس يستطيع بقليل من الجهد أن يقضي معاً وقتاً سعيداً».

وأدركت ليان أنها هي التي يجب أن تبذل كل هذا الجهد.

وأحست أنه لا جدوى من وراء ذلك ولم يعد معها كيف تسير الأمور.

وفي نهاية الأسبوع هبت عاصفة ممطرة شديدة جعلت من الصعب على المرء أن يخرج من البيت. وأدركت ليان أن فصل الشتاء سيكون قد إنقضى نصفه عندما يحين وقت مقاديرها للأرجنتين. ولكن هذا التذكير جعلها تشعر بأن يوم العودة إلى الوطن ازداد ابتعاداً. وعندما تفصل في النهاية إلى انككترا سيكون فصل الخريف حل هناك. ولكنها ليست متأكدة بعد من هذا.

وسافر ريكاردو صباح يوم الاثنين إلى بلدة سانتينا بعدما أخذ الترتيبات لقضاء الليل هناك. وأدركت ليان أن الصفقات التي سيجريها ريكاردو تنطوي مبالغ طائلة. وكلفت عن المطالبة بأصطحابه لها في رحلته إلى سانتينا

وكأنها على ذلك بأن وعدنا بزيارة البلدة في الأسبوع التالي. وأحست ليان بأن ساعات اليوم أخذت تطول مع إدراكها بأنه لن يعود إلى تلك الليلة كان يترك البيت أحياناً لعدة ساعات أثناء النهار ليناقش أمور العمل مع مديري المزرعة. إلا أنه خلال الليالي القليلة الماضية كما يحرص على أن يقضي الوقت معها بعد تناول العشاء في الحديث وتخصيص السيكارو وهما يستمعان سراً إلى مجموعة أسطواناته العديدة.

وأحست ليان مرة أو مرتين وهو يرقبها في حيرة كأنه يتساءل إذا كانت الروح الإنسانية ستعود إليها من جديد. إن تلك الروح كانت تطفو عادة قرب السطح كلما نتجح في تهدئتها بمهارة. وليس من السهل معرفة كيفية التعامل مع رجل مثل ريكاردو مندورزا، إلا أنها وجدت نفسها تستمتع بالتعامل معه. وهي تدرك أن نوع خطر من المتعة إلا أن البديل لذلك، وهو مواصلة الشجار معه، لا يحقق لها هدف مأمون.

أضحت صباح ذلك اليوم في العمل على تحسين مستواها في اللغة الأسبانية سمعة بنفاموس أعطاه لها ريكاردو، وسجلتها خواتمها بقدر ما استطاعت في تعلم نطق الكلمات باللهجة المحلية.

أضحت كمياتها فجرة بعد الظهر في القراءة والاسترخاء على كنبه ممتدة تحت ظل في الغناء إلى أن حان وقت خروجها لركوب الخيل للمرة الثانية خلال اليوم. وكما لم تكن أعداء الفرس. ووخو للركوب يوضع السرج فوقه عندما وصلت إلى الاستطيل. ووجدت الحصان ديبلو الخاص بريكاردو يقف هناك تحت أشعة الشمس وهو أيضاً ينتظر ريكاردو كما اعتقدت ليان. وقد اعتقدته على اعتقده هي أيضاً. وحديثها نفسها بأنها سوف تسكن يوماً ما من ركوب ديبلو وأمامها مصنع كبير من الوقت إذ ما زال أمامها أكثر من خمسة أشهر تقريبا في الأرجنتين.

وعندما دخلت إلى المنزل كانت الساعة قد بلغت السادسة دلفت إلى المنزل من بوابة خلفية لتستخدم السرج المؤدي إلى غرفتها. وشاهدتها رجل يجلس أمام المائدة

امرأة بلا مخالب

قمت أحد القناطر فوقف ليحييها في دهشة وهو يتكلم:

«مسيورا مندور!»

وردت عليه ليان عجيبة وهي لا تكاد تصدق: فهو رجل انكليزي كما يبدو من ملامحه وملابسه. وأتسم لها وهو يقول:

«أنا غرانت ادواردز صديق ريكاردو. ويبدو أنني اخترت وقتاً غير ملائم لهذه الزيارة»

قالت له بسرعة في طجة تأكيد:

«كلا على الاطلاق انه شيء رائع أن أرى أحد أبناء وطني. ارجوك أن تجلس وشكاها غرانت من أن امرأة مسنة حاولت أن تنمعه من الدخول وأبلغت بأن ريكاردو غير موجود في المنزل وأنه خرج للعمل. فضحكت ليان وقالت له:

«أنت عندما تعرف إيتيز على حقيقتها ستجد أنها ليست سيئة وكل ما في الأمر أنها لا تهاب بالفرط. وأعتقد أنها تظن أنهم كلهم يريدون سرقة الذهب»

فضحى غرانت هذه الدعابة وقال لها:

«أنتي لا أكاد أصدق أنك زوجة ريكاردو. فبعدما قابلته منذ شهرين لم يثنني بلغة بأنه متزوج»

فاجابت قائلة:

«لهم يكن قد تزوج بعد تزوجنا منذ اسبوعين فقط في بوينس ايرس. هل تقيم في الأرجنتين غرانت»

«أعمل حالياً كخبير استشاري في حقل جديد للترول في شاكو»

وهل تهابت مع ريكاردو هناك»

«كلا تقابلنا في ريودي جانيرو عندما كنت أمضي عطلة نهاية الأسبوع وقام أحد الناس بضرر بك كل منا بالآخر. وقبل مغادرتي للمدينة وجه الى دعوة لزيارة الاستانسيا خلال أجازتي المقبلة وأتحدث لي فرصة قضاء فترة إجازة هنا أسبوعين فقررت أن أزور الاستانسيا ليلية لدعوة ريكاردو. الا أنه كان

بعد أن اتصل به أولاً بدلاً من أن أتأخذه بالزيارة. لقد جئت بالسيارة الى هنا من مطار سانتيا. ويمكنني أن اتوجه الى هناك الليلة على أن أسافر غداً بالطائرة»

قوت عليه ليان بسرعة:

«لا يمكنك أن تسافر قبل أن تلقي ريكاردو على الأقل. وأستطيع أن أعد لك غرفة وسوف يعود ريكاردو صباح غد. وهو في الحقيقة موجود الآن في سانتيا»

«أخاف هو هناك» كان في استطاعتي أن ألمح لو أنني مررت بسيارتي من داخل البنة ولكن ازدحام الأسواق فيها جعلني أسلك الطريق المؤدي مباشرة الى الشارع قليلاً ثم سأله:

«لا بد أنكما غدا لتوكما من رحلة شهر العمل»

«لهم يكن لنا شهر عمل»

«لها بسرعة بدون تفكير وسرى الذهب في جسيها وهي تراء يصدق فجأة في دعوة لتكهن بسبب ذلك. ولكنها عدا ركنه الموقف في الحبل وهي لا تدري ما اذا كان شهر العمل بالمهم البريطاني يلقي ليلاً في الأرجنتين. وقالت:

«لهم يكن لدينا الوقت لقضاء شهر عمل بالصورة الملائمة. إذ كان يجب على ريكاردو أن يعود ليشرع على شحن الماشية ولكن يلتقي مع المشترين. وسوف نقل مشاغل العمل الآن الى حد ما الى أن نحين فترة الشحن المقبلة»

ولاحظت اقتراب إيتيز في هذا فتأهبت لتأخذ دورها كمسندة البيت. بغض النظر عن الطابع المؤقت لهذا الدور. وقالت لايتيز بالأسبانية:

«مسيورا ادواردز سيقم هنا الليلة على الأقل. وأرجو اعداد غرفة له»

تصالحت رئيسة الخدم وقالت في امتعاض:

«نسي...»

فأخبرها ليان قائلة:

«مسيور ادواردز حضر بدعوة منه. اطلبي من خواتمنا احتضار الشاي ثناء»

نعم قد يحدث هذا فعلاً.

ونعيم الظلام بسرعة غير مألوفة. وخلال لحظات تحولت السياة من حالة الانطفائية الرقيقة إلى احاطة المخيلية الكثيفة. وأخذت النجوم تتلألأ في كدابة وبدأت أصوات الليل المعهودة تداعب الأذان بدون أن يلحظها أحد إلا إذا نهقت. وتزدت ضحكة خوانيتا التي صيرت من الحياء المطيخ... وعن بعد بدأت تسمع أصوات عزف الغيتار في إيقاع بطيء.

وجذب ادواردز أنفاسه وقال لها:

«هوية هنا آمنة. أليس كذلك؟ وهي تختلف عن المكان الذي جئت منه. في أي مكان في انكلترا كنت تقيمين؟»

من لندن.

وأحست فجأة بألم الغربة والخنين للوطن. شهر فبراير/شباط في انكلترا يتميز بالبرد والرطوبة وربما الضباب أيضاً ولكنها في هذه اللحظة تسمى بكل ما فيها من أحاسيس أن تكون في وطنها.

وصاح ادواردز قائلاً في ابتهاج:

«أنا أيضاً من لندن. ولدت هناك. وقد عزت ثمانية عشر شهراً منذ رأيتها لأخر مرة. كم من الوقت مر منذ مغادرتك لها؟»

ورأت ليان أنه ليس ثمة ما يدعوها لتطبيق قصة غير حقيقة. فقالت له:

«ثلاثة أسابيع».

وتعمدت النظر إلى وجهه لترى تعبيراته وهي تبسم وقالت:

«داني أعلم أن الأمر يبدو بالنسبة إلي أنا أيضاً شيئاً لا يصدق. فقد أصبحت تائهة بعد أن تخلت عني فرقة الرقص التي كان مفروضاً أن انضم إليها في برينس أيرس. وفي تلك الاثناء عثر علي ريكاردو وتزوجنا بعد يومين».

ونظر إليها وهو غير متأكد مما يسمع وقال:

«حقاً إنني أعرف أن اللاتيني يتميز بسرعة اتخاذ القرارات ولكن هذه الحالة سجلت سابقة لا مثيل لها. إذ لا بد أنك تأكدت فعلاً من مشاركتك نحوه».

فتنظر إليها ادواردز في إعجاب وقال لها بعد أن انصرفت: [ينيز:

«إنك تعرفين كيف تديرين دفة الأمور هنا».

دهشت ليان عندما عرفت مدى اليسر الذي تدار به الأمور في المنزل بعدما تحطت الحاجز الذي كان يجعلها تتردد في إصدار الأوامر. فإينيز لا تستجيب للرجاء الذي يوجه إليها بلهجة مترددة لتفعل شيئاً ما، لأنها اعتادت على الخضوع للأوامر وهي لا تدفئ الآن عندما تذكر كيف كان ريكاردو يبدي ضيقه بالنسبة إليه شيئاً سهلاً وطبيعياً.

واخذت ليان كرسيّاً إلى جوار ادواردز وسألته:

«حدثني عن عملك. هل هو ممتع؟»

«الأمر يتوقف على مدى نظرتك إلى العمل نفسه فالظروف هنا بدائية جداً وظروف العمال المحلية تبدو أفضل. وفيما عدا ذلك الأمر يرجع إلى الحيرة».

«هل تعمل حراً بعقد خاص؟»

«إنني معار من شركتي».

«هل أنت متزوج؟»

«فأبسم وهو رأسه قائلاً».

«هذا العمل لا يصلح لرجل لديه زوجة وأولاد يفكر فيهم. إنه لن يتمكن حتى من رؤيتهم لمدة ستة أشهر. إنني أعمل على تكوين ثروة قبل أن أستقر. وقد حدثت لنفسي سن الخامسة والثلاثين كحد أقصى ومعنى هذا أنه ما زال أمامي ست سنوات».

وسألته: ليان بلهجة استخفاف:

«وماذا سيحدث لو أنك التقيت قبل ذلك بفترة تريد الزواج منها هل ستطلب منها أن تنظرك؟»

«لا يمكن التفكير بهذا الأسلوب. ربما كنت سأعيد التفكير في تلك الحالة. فهذه الأمور قد تحدث بسرعة».

فقالت وهي تخفض من بصرها:

وكان هناك أفراد كبير يحفز ليان أن تندفع في سرد القصة كلها ولكنها
بذلت جهداً في مقاومة هذا الاغراء، وهزت كتفيها وهي تضحك قائلة:
«ريكاردو ليس بالرجل الذي ترفضه امرأة»
لحلمن فيها قائلاً:

«أتقصدين أنك تزوجته من أجل المال؟»

«وقل من الصعب تصوّر ذلك!»

«نعم، فأنت لست من النوع الذي يبحث عن الذهب، أتريدين أن تقول لي أنك
لا تحبينه؟»

وكان السؤال مباشراً بحيث لا يمكنها أن تراوغ في إزده عليه، كما أنها في الوقت
نفسه لا تستطيع أن تتظاهر أمام هذا الرجل بأنها تكن تريكاردو تلك العاطفة.
وقالت له:

«أرجو ألا تحكم علي يا غرانت. فهناك أشياء تتعلق بزواجي، لا يمكنني
التحدث عنها. ولقد قلت في هذا الشأن أكثر من اللازم.»

وفي تلك اللحظة أحضرت خوانيتا الشاي فشعرت ليان بالارتياح
وبدأت تقدم الشاي لفرانت فانتظر حتى أحسب بالنتيجان في يده وقال لها في
صراحة:

«أنتك تستطيعين أن شئت أن تطلي مني إلا أنتدخلي في شؤونك ولكننا إنكليزيان
وهذا يجعلني أشعر بالاهتمام بشكل ما إزاء هذا الأمر»
وسألاً بعد تردد:

«هل لجأ ريكاردو لأي نوع من الشر ليمسك على الزواج منه؟»
وردت عليه بسرعة أحست بها:

«كلا، وكان يجب ألا أحكي لك شيئاً من هذا. لا أوري ما الذي جعلني أقبل
ذلك؟»

«أنا أعرف السبب، فأنت تحتاجين إلى إنسان يقف إلى جانبك. وهؤلاء الناس هم
رجال ريكارغو وليسو رجالك. لقد شعرت بالزهو الشديد عندما قابلتني بكل

اب ادة بلا مخالط
هذا الترحيب الآن. وبعد أن عرفت السبب فأننى الآن أعرك لئلا يسعدك أن ترى
أى شخص ليس من أصل أسباني - ويمكننى أيضاً أن أدرك السبب الذي جعل
ريكاردو يسارع بالاستئثار بك. فأنت فتاة جميلة جداً يا ليان ، ومن
المرح الذي يسلب عقول الرجال. وكان يجب على ريكاردو أن يتيح لك
الوقت اللازم للتدبر والتفكير»

وأدركت أن الافتراض الذي فكر فيه هو شيء طبيعي في ظل الظروف الناتجة
منه. فقد اعتقد أن ريكاردو وقع في حبها وحرقها بعاطفته قبل أن تتاح لها
فرصة التفكير في القيمة البعيدة المدى لعلاقتها وهذا بعيد عن الحقيقة ولكنه
حصل بكثير من الوطء التي دفعت بنفسها اليها عندما روت له نصف
الحقيقة. إن إن غرانت إدواردز صديق لريكاردو ولا يجب عليها أن تفعل
أكثر من هذا خشية تعظيم تلك الصداقة لمجرد الحصول على حليف موثوق أنها ما
زالت تتصرف على مسؤوليتها بدون عون من أحد.

www.rewity.c

٦ - رقصة المفاجأة

استمتعت ثيان بتناول طعام العشاء في صحنبة غرانت ، وهو جليس مرج استطاع أن يشحكنها بالقصص التي رواها عن مواقف محرقة صادفها في عمله وانتقالا الى الضالون لتناول القهوة أثناء ذلك، سألتها اذا افترقت الرقص الذي كانت تمارسه قبل زواجها من ريكاردو. كما قالت له. فودت عليه بأنها لم تلتفت له الا قليلا خاصة أنها ليست راقصة كبيرة. فقال لها باستخفاف :

أما هنا فأنت سلطنة الفلقمة كلها. سيئة أرض مندوزا !

إنها حقا سيئة مندوزا ولكن في الاطارات التي يحدده ريكاردو. ولكن ما الذي يمسها من هذا، فعندما تعود الى أنكلترا ستكون لديها ثروة تغنيها عن العمل طويلا الوقت. وسوف تقيو من ذاكراتها هذه الفترة التي تقضيها الآن في الأرجنتين. ولكنها تشرح بأنها تكذب على نفسها لأن هذه المسألة ستلازمها بذكرياتها الى الأبد وتنعكس آثارها على كل جوانب حياتها.

وفات ثيان لندبر احدي الاسطوانات الموسيقية التي استمتع اليها ريكاردو في الليلة السابقة، وهي تحمل مخدرات من الموسيقى اللاتينية الأمريكية لفترة لثايسنتر وكسافييه كوجات. وقال غرانت أنه يحب ايقاع تلك الموسيقى أن فيها بدائية تنشط الحفل والحس. ودعاها الى الرقص فاستجابت بعد

تردد لم يستغرق سوى لحظات. واثناء الرقص قال لها أنه مضى وقت طويل منذ راقص أي فتاة بمثل هذه المتعة، فردت عليه بقولها:

«عد الى انكلترا يا غرانت وابحث لك عن فتاة تتزوجها قبل فوات الاوان.»
وماذا عن خطة السنوات الست التي حددتها. الأمر يتطلب مالا لاتخاذ زوجة واعالة أسرة.»

«يمكنك أن تعيش بدخل متوسط بدون صعوبة.»
«ليست هذه طريقتي في الحياة، فلا بد أن يكون لي رصيد في البنك يفوق الحد المتوسط قبل أن أبدأ في البحث عن زوجة.»
«ولكن كيف تحقق ذلك وأنت هكذا وحيد.»

فابتسم وقال :

«انتي لا أعير هذه المسألة اهماماً كبيراً . وان كان وجودي الآن معك حيث أحداثك وأنظر اليك يجعلني أحس بما أفقد فعندما أعود الى عملي سأرجع الى حالتي الطبيعية بعد مضي أسبوع.»

«إنك رجل عملي ، ولكنك لاتستطيع أن تحدد خط سير حياتك بمنتهى الدقة ،
فهناك أمور مفاجئة تقلب أحسن المخطط رأساً على عقب .»
فسألها بسخرية:

«مثل مقابلة شخص ما والزواج منه خلال يومين؟»

وأضاف وقد بد عليه حب الاستطلاع وعدم الاقتناع بالقصة التي روتها له:
«لايمكنك اقناعي بأنك سعيدة هنا. فأنا ألاحظ نظرة معينه في عينك كلما ذكرت اسم ريكاردو... هل يساورك الخوف منه؟»
«وهل كنت أتزوجه لو أنني كنت أخاف منه؟»
«ربما تكونين قد فعلت ذلك تحت ظروف معينة.»

وتوقفت ليان عن الرقص عندما تغيرت القطعة الموسيقية وأنزلت يدها من فوق كتفه، وقالت له:

«غرانت ، لم نتعرف الى بعضنا الا منذ أربع ساعات فقط، كما لاتعرف

امراة بلا مخالب

ريكاردو كثيرا ومن الأفضل الا تتحدث بهذه الطريقة.

«الوقت لايم في هذا الأمر. فأنا أشعر كأنني عرفتك طول عمري وأن كان هذا يدن على الحقيقة، ولكن لا حيلة في فيه. فأنا صديقك وأرجو أن تصبحي صديقتي. أحببت ريكاردو عندما التقيت به، ولكن هذا ليس معناه ألا أرى فيه شيء محاسنه. إنه رجل وكنا معرضون للإغراء».

ف نظرت اليه بعض لحظات ثم قالت :

«أظن أنني تزوجته لأنني كنت مضطرة لذلك ؟ ألا تعتقد أن تلك الطريقة غلط عليها الزمن؟»

«أعتقد أنك تتبعين الأخلاقيات القديمة التي تجعلك تعتقدين بضرورة زواجك من أول رجل يبدي الحب نحوه سواء كنت تحبينه أم لا».

«في ظل تلك الأخلاقيات كان يمكنه أن يتألفني ضد أرائي، أم تظن أن ريكاردو وحشي آدمي؟»

«كلا، لكنني أؤمن أن له قدرة شديدة على الإغراء والاستغرائ».

ولس شعرها بيده وهو يقول :

«الرجل اللاتيني يطيش عوايه لليل بشرتك».

وفي تلك اللحظة انطلق الصوت الحازم من جهة الباب يقول :

«ليس اللاتيني وحده على ما يبدو».

وتراجعت ليان خطوة إلى الوراء ميتعة عن غرائث في الوقت الذي بدأ

فيه ريكاردو يتقدم داخل الحجرة، وقالت في ارتباك :

«أنا لم نسمع صوت السيارة».

لمرد في سخرية :

«ربما لأنكما لم تكونا تتوقعان حضوري».

وتحول بصره نحو غرائث الذي وقف في جانب من الغرفة يشعر ببعض

الحرج وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ترحيب قاترة ، وقال له :

«أنني مسرور ، لأنك لم تنس الدعوة التي وجهتها إليك، ومن حسن الحظ أنني

أما إذاً فلا محالة
قررت أن أموه الليلة بدلاً من الانتظار إلى الصباح.

وتسألني ليان بيتها وبين نفسها: من حسن حظ من؟ من تصرف ريكاردو أنه لا يلوم غرانت. فهذا المشهد الذي رأوه عند دخوله، فهي الملائمة لأنها سمحت نفسها بأن تقرب على هذا النحو من رجل آخر. كما أنها هي التي ستعرض عليه الشدائد، الذي يحاول كتمانها الآن. ولن يحدث شيء من هذا القبيل في تلك اللحظات التي سيقوم فيها ريكاردو بتحيةة ضيفه. ووقف غرانت حائراً ومتربساً وهو يفكر في محاولة شرح السبب الذي من أجله لم يشعر ليان، ولكنه قرر أن من الحكمة ألا يفعل ذلك. وحاول غرانت أن يحتذر لزيارته المفاجئة. لكن ريكاردو ردة عليه بأنه لا داعي للاعتذار لأن الدعوة التي وجهها إليه كانت مفتوحة ليقوم بها في أي وقت. وأضاف قوله:

مرحباً بإقامتك معنا لأية فترة تشاء. ليان، هل سهرة على راحة ضيفك؟

وردت ليان وهي تدرك طعنة السخرية التي تحدث بها،

وأجبت: أليس غرفة لستور أدوار في عند الطرف البعيد لفناء وقد زارها
من قبل.

وزال عندئذ أي شك في أن ريكاردو يواجه أي اتهام إلى غرانت. وقال
ريكاردو بصوت قوي:

مفضل ستور أدوار. إن كلا منكما انكليزي ولاداعي لتلك الرسومات.

وهذا ريكاردو غرانت لتناول التراب فيجس غرانت باسترخاء في
أريسه يشعر بالاطمئنان في حين أخذ ريكاردو ينظر إلى كآسة نظرة مبهمة
بلا.

سأينا أن نحتفل غداً بزيارتك لنا. لم أستطع تناول العشاء معك الليلة لأن
عذتي لم تكن مقبولة.

عندما علم ريكاردو أن الأجازة التي أخذها غرانت تستغرق أسبوعين
قال له:

عالمنا قصير ولكننا سنجعل إقامتك معنا ممتعة بقدر الامكان. وقد أكون

مشغولة بأعمالها في بعض لغرات من اليوم ولكنني واثق أن ليان ستعود
بواجب الضيافة نحوك على خير وجه.

وتركتها ليان يتجاذبان أطراف الحديث بدون أن تقول شيئاً إلا إذا تطلب
الأمر ذلك. ولم تشدع بظهور الهدوء التام الذي بدا على ريكاردو فهي تعرفه
جيداً. وأدركت أن ريكاردو أرجأ محاسبتها إلى وقت آخر فهو لا ينسى شيئاً ولا
يتساهل بسهولة. واستأذنت بالانصراف، فقام معها ريكاردو وغرات التي
رمي ليان بنظرة سريعة ذات معنى وهو يقول لها:

«تصبحان على خير، وشكراً لعنايتكما بي.»

وكانت كل كلمة تطلق بها غرات كالسهم في نعلها، لكنه لم يكن يعرف
ذلك طبعاً. ولم يكن هناك أي سوء تفاهم من وجهة نظره ومن وجهة نظر
ريكاردو فإن غرات لم يرتكب أي خطأ، وهو أمر يدعو إلى الدهشة.

وتوجهت إلى شرفتها بسرعة وقابلت في طريقها اينيز التي تشعر ليان
بأنها شذ لا بد منه وهي تعتقد أن ريكاردو يكلفها التجسس عليها وتسمى
اينيز التي لا تقضي كراهيتها لليان. أن يأتي اليوم الذي ترحل فيه عن البيت
وهذا هو شعور كل من في البيت فيما عدا جوانيتا ووقفت ليان في الشرفة
تشم رائحة الزهور. وفتح الباب فجأة بدون استئذان ورأت ريكاردو يسند
ظهره إلى الباب بعد أن أطلقه. وأدركت أنها أحست صعباً بإطلاقها أنوار الغرفة
قبل أن تضيح نوافذه. وضوء القمر لن يكون كافياً للكشف عما يجالجهما من
أحاسيس وسألهما في نفوة:

«هل لديك ماتفوليه تبريرا لهذا المسلك؟»

«ولماذا أكلّف نفسي تقديم تبريرات جاهزة كونت رأيتك؟»

«لأعتقد أنك ظننت أن غرات ربما كان يقارنني.»

«لا بد أن يقارنني هذا الظن طبعاً، فهو رجل، ومن الطبيعي أن يستجيب الرجل
للنداء.»

«أي نداء؟»

«أعزائيك منه، ورغبتك الواضحة في الاحساس بنسبة يند».
 ليس هذا بالانصاف، فقد كان كل هذا قريباً من الآخر لأننا كنا نرفض وهو لم
 يفعل أكثر من لمس شعري».

«سأدوم راقصك لأبد أنه لمس غير شعرك»

وأطلق العنان لشاعره وهو يقول:

«لأنك أنت التي أشرت الأسطوانة، ولهذا فأتت التي رغبت في مراقبتك. هل
 حرك ابن بلدك هذا مشاعرك؟»

وردت عليه في يأتي:

«كفى باريكاردو، لم يكن الأمر كما صوّرتك بالمرّة، فنحن، كما قلت إنكليزيان
 نأمل أن الابتعاد عن الرسميات، ولم يحدث أي شيء، بينما فكل ما فعلناه هو
 الحديث».

فضاحت عيناه وهو يسأها:

«س أي شيء دار الحديث بينكما؟»

«وحدرك بصرفها بعيداً عن وجهه رغم أنها حاولت بنون جديري ألا تفعل ذلك
 وهي تزد عليه بقولها:

«حدثنا عن كل شيء... عن أثيريت وعن غيل».

«لأنه نحونا ونذهبنا من ذراعينا وهو يقول لها بقوة:

«أنت تكذبين... حدثته عني وعن زواجنا أليس كذلك؟»

«أخذت أصابعه تفحص بشدة، وردت عليه وهي ترتجفه

«لا، ليس بالمحبي الذي تقفه، استنتج هو نفسه بعض الأشياء عن هذا
 الموضوع».

ورد عليها باستنكار وشك:

«كيف يمكن لإنسان أن يستنتج موقفاً كهذا؟»

«أفصد أنه توقع شيئاً ما بينما ليس على مايرام ومن ثم ضحك ببعض
 الاستنتاجات».

واستمر في الامساك بنواحيها في شدة وهو يقول لها:

«لماذا أنه رجل ذكي جداً ليفعل ذلك حتى بدون أن يراتنا سوياً. وماهي تلك الاستنتاجات التي طلع بها؟»

والثقيبات لبيان أنفاسها وهي تعلم أنها مضطرة لأن تروي له شيئاً ما وتحس في الوقت نفسه بأنها غير قادرة على أن تسمع أي كلام، وقالت:

«انه يعتقد أنني تزوجتك لأنني التزمت بذلك.» وكان من الصعب على أن أنتظر بأنني أحبك.

فأطلق ضحكة حادة وقصيرة ومجردة من روح المرح وقال:

«انتصدين أنني الآن أمتلكك؟ وهو يظن ان كلاً منا يسير على خط من السلوك اعتقد أنه غريب تماماً عن طريقه الحياة الاستكيزية هذه الأيام، إنه زواج المصلحة، فهو التزام بالفسير من جانبي، والتزام أخلاقي من جانبك.»

«أليس الاثنان شيئاً واحداً؟»

فصنط شفيه في تيم وقال لها:

«لا تحاولي أن تعلميني الفرق الدقيقة بين معاني الكلمات الاستكيزية فليس هذا الوقت أو المكان المناسب لذلك. وأن كان خفيفاً يعتقد أنني زوجه، فمن الأفضل إذن أن نحيل هذا الأمر الى حقيقة.»

فصرخت وقد أصابها القزع الشديد وهي تقاومه، ولكنها غالكت نفسها وذكرته بما سوف يفرضه اذا أقدم على هذا، ولكنه قال لها أنه سيق أن حذرهما ألا تتصرف تصرفاً يدفعه الى ذلك حيث سيوجد وسيلة أخرى لانتهاء الاتفاق الذي أبرمه معها. ولكنه عاد الى التعقل وابتعد عنها قائلاً:

«انك على حق فاللصقة ستكون قصيرة الأمد إذا قررت بالتعقيدات التي ستترتب عليها.»

ودعاها الى الرضى والقبول فقالت له:

«هذا ليس حياً فأنت لاختلف عن أبيك.»

حذرهما الأ تقول هذا الكلام مرة أخرى، وقال لها انه لو كان مثل أبيه لبال منها

مايزيده الآن، وتركها بعد أن أكد لها أنه فقد أي رغبة، وأحست من نظرات عينيه أنه أصبح يكرهها. وخلال الأيام التالية أصبح غرات ضيقاً يلقي الترحيب في البيت، وأحست أنه لولا وجود غرات لما استطاعت أن تتحمل الجو الذي أصبح سائداً الآن بينها وبين الرجل الذي تزوجته، ولم يحاول ريكاردو أن يكلف لها بعد ذلك عن حقيقة مشاعره وأخذ يحدثها في برود وإن كانت عينا يشع منها البريق وهو ينظر إليها وهما على انفراد.

وأدركت لبيان أنها أصابت ريكاردو بجرح عميق في نفسه عندما قارنت بينه وبين والده وحاولت أن تبدي إعتذارها له ولكنها لم تكن تعرف الوسيلة لذلك، وفضلت السكوت بدلاً من أن تسكب مزيداً من الزيت على النار، وتعت بأنها أصبحت أمنة من التوترات العاطفية.

وأخذ ريكاردو يمضي جانباً كثيراً من وقته مع مديري المزرعة تاركاً لبيان تقوم بواجب الضيافة مع غرات. فأخذاً بخرجان سوياً لركوب الخيل والتمتع في تلك الأماكن، وتحدثا عن كل شيء تقريباً. وقال لها مرة أنها تكاد الحزن للوطن من حينها سيبدأ عندما يرسل عنها وحذرها من أنها لن تستطيع التكيف مع الحياة في تلك البلاد نظراً لاختلاف الثقافتين. فقالت له:

«في هذا سياتي يمضي الوقت وأنتي لم أمضي هذا سوى أسابيع فلاتي وأمامي الكثير لأتعلمه.»

عقل الخشوع لزوجك مثلاً، ان هذا الجزء من العالم لايعرف شيئاً عن المشاركة بين الزوجين. فأنت ملك له، والقانون لايتصفك معها كانت معاملة لك. فهل تعرفين ذلك؟»

«ثم أفكر في هذا من قبل.»

«لذا حين الوقت لذلك، أنني أدرك سبب انجذابك اليه في البداية فهو رجل يجذب نحوه النساء وهو واثق من نفسه وقوته.»

«هوسري.»

فقال لها في غضب:

وقالت له :

«عندك ، فتحن البريطانيون يجب أن تتكاتف سوياً . وعندئذ أدار محرك السيارة.»

«لا تحاولي هذا ولا تحاولي الظاهر بما ليس من صفاتك. يمكنك أن تطلبي متى
تدري التدخل في شؤونك. ولكن لاتعامليني كأنسان غبي.»

فأعربت له ليان عن أسفها . وقالت له أنها تقدر اهتمامه . ولكنها لاتستطيع
أن تناقش معه هذا الأمر ، وكل ضائي الموضوع أنها متزوجة من ريكاردو .

فقال لها أنها لاتحبه وأنه واثق من هذا ، فطلبت منه عندئذ أن يعودا لأنها دخلا
أرض ربحا . واقترح عليها أن يقوموا بزيارة لكارلوس وزوجته ايزابيلا .

تترددت في البداية لكنها وافقت عندما فكرت في أن أحدا ما لابد أن يفسر
الخطوات الأولى لتعظيم الجوائز بين الجائزين حتى ولو كان ذلك بالنسبة اليها .

هي و ايزابيلا . وقالت : غرائث ألا يدعش اذا استقبلها . كارلوس يروح
عدائية . فقال لها أنه لا يرى سبباً يدعو لذلك لأن التزاع بينه وبين ريكاردو .

كما انه لا يرى شئ ما يدعو ريكاردو . وهو رجل ذو عقلية ناضجة . الى الابد
على هذا التزاع لفترة أطول من هذه . وسألته وهو يركوب السيارة والجلوس

خلف عجلة القيادة :

«لم تعد تحب ريكاردو كثيرا أليس كذلك ؟»

«لا أستطيع فهمه فهو يختلف عن الرجل الذي قابلته لأول مرة في ريو دي
جانيرو.»

وقال لها غرائث أنه لاحظ منذ مجيئه أنها تعاني الارهاق ، فزودت عليه بقولها :

«يقولون أن السنة الأولى للزواج هي أسوأ سنة أليس كذلك ؟»

«لا تحاولي المزاح في هذه المسألة ، أو اقناعي بأن الأمر مجرد تطور طبيعي . لأن
الموقف ليس طبيعياً بالمرة.»

وطلبت منه التعجيل بالتوجه لزيارة أسرة كارلوس حتى يمكنها العودة قبل
حلول الظلام . ولكنه أخذ يستميلها لأن تثق فيه وهو يؤكد لها احساسه بأنها

تحفظ عنه أشياء عن حقيقة زواجها . وطلب منها أن تعدد بأن تتصل به في
الشركة حيث يعمل اذا احتاجت لأية مساعدة وعندئذ طلبت في الحاح أن يتحرك

بالسيارة وقد اعترافا احساس سريع بالأذى لجرد تفكيرها في أنه سيرحل يوماً ما

ولاحظت تغير تعبيرات وجه ليان فابتسمت قائلة:

«يجب ألا تساورك المشكوك نحو كارلوس الذي سيفيق لأنك لا تشاكين
ريكاردو مشاعر عدم الثقة، فالرجال تنسم مشاعرهم بالحدة، وليس عندهم أخذ
وعطاء، فتدخل غرائز قاتلا وهو يضحك:

«أنا شخصياً أعتقد أن النساء أسوأ الأعداء، ولكن هذا يعود رأي صادر عن
رجل».

قربت عليه بضحكة مماثلة قائلة:

«كنت تسخر مني لأنني أتكلم عن الرجال بصفة عامة وما كنت يجب علي أن أفعل
ذلك، رغم أن الأمر شديداً».

وسألت ليان عما أحبته خلال الفترة القصيرة التي أمضتها في سهول
بامبا وهل أحببت في البداية بفجر كمعظم الأوروبيين، فقالت لها أنها أحببت في
الأسبوع أنها في ضياع وكانت تخشى أن تضل طريقها وهي تتجول بحصانها،
ولكنها أفرحت أن الحصان يعرف طريقه إلى البيت دائماً، فسألتهما إيزابيلا إذا
كان ريكاردو قد خصص لها بعض الخيول فأجابتهما بأنه أعطاهما حصاناً
ينحى روجو، قربت إيزابيلا:

«أعرفه فهو حصان وديع وقوي ولكنه ليس على درجة كبيرة من الروعة
وريكاردو أناني يحتفظ لنفسه بأحسن الخيول، وهو لا يعرف أنني استطيت مرة
حصانه ديابلو وغضب كارلوس عندما علم بذلك ولكنني رجوته ألا يبلغ
ريكاردو».

سألت غرائز:

«هل كان هذا قبل أن يتشاجرا؟»

قربت إيزابيلا في حزن:

«نعم، ولكنهما لم يتعاملا أبدا كأخوين صديقين، منذ زواجي بكارلوس لم أفر
ريكاردو سوى مرة واحدة للأسف».

ولمحت إيزابيلا كارلوس قائماً فتأدته:

٧ - قرار خاطيء

وصلا إلى مشارف بيت ريجامبدا الثالثة بقليل. لأول مرة ترى ليان هذا
البيت في ضوء النهار، وهو بيت جميل له خطوط متناسقة وغير متوازية وليس فخراً
كبيت مندوزا لكنه يشعر بالألقة. وقتت ليان أن يكون لها بيت كهذا إن
كان عليها أن تعيش في مثل هذا المكان.

ولم يكن هناك أحد خارج البيت كالمعتاد في مثل هذا الوقت من النهار، حيث
يأخذ الناس المشقة في وقت العجولة. وأمركا أنها جادا في وقت غير ملائم ولكن
لا مفر من أن يعلنا عن حضورهما، وتقدم من السيارة خادم في زي مهندم وجميل
طلبته منه ليان أن يبلغ السنيورا كارلوس بأن السنيورا مندوزا
والسنيور ادواردز جادا لزيارتها، فقال لها أن السنيورا كارلوس تستريح في
الغشاء، وعندما لمحت إيزابيلا الزائرين القادمين نحوها ألقت جانباً بالكتاب
الذي كانت تقرأ وهي تشعر بالدهشة للمفاجأة التي أسمعتهما، وقامت لتحيتهما
وهي تبسم في حيوية وتقول:

«لقد كنت أن تلوحي بزيارتي وما أنت هنا، وكنت أعتقد أن ريكاردو لن يسمح
بذلك، ألم يأت معكما؟».

«كلا، إنه لا يعرف حتى بجيئنا، والا لما وافق على ذلك، هذا غرائز ادواردز
الذي يقيم معنا في بيت مندوزا وهو خير بترول ويعمل حالياً في تشاكوا
وقدلبت من ضيفها الجليل ريثما يتم إحضار التبرويات، وأبلغتهما بأن
كارلوس يقرب ملامسته وسيحضر حالا».

«كارلوس، إنظر من جاء الزيارتنا... أليس هذا شيئاً رائعاً؟»

فأقرب وهو يرتدي زياً أنيقاً، وقال باستسامة لم تكن صافية تماماً:

«أله لشيء رائع فعلاً، وإن كنا لا نتوقع ذلك، هل يعلم ريكاردو بهذه الزيارة؟»

فردت عليه بالنفي وهي تشعر بالأسف لمجيئها لكنها أدركت أن وجودها هنا

أوضح حقيقة مشاعرها وتعاظمها، وقدمت غرات لكارلوس فأخذا يتحدثان

عن المسائل المتعلقة بالكشف عن البترول، وأثناء ذلك دعها إيزابيلا لمشاهدة

بقية أجزاء المنزل فقبلت بعد تردد لأنها لم تشأ ترك غرات. يتفرد بكارلوس

الذي قد يبلغه بأن زواجها من ريكاردو تم توقيعه بدقة حتى يتزوج

ريكاردو أرض مندوزا منه، وذلك رغم أن كارلوس لا يعرف بالأبعاد

الكاملة للمؤامرة. ولكن يحصل جداً أن ينتج كارلوس عن إثارة هذه المسألة مع

غرات الذي لا شأن له بالأمر التي تفص عائلة مندوزا.

البيت مريح من الداخل كما يوحي بذلك مظهره الخارجي.

واعترضت إيزابيلا لأن أبوجها يأخذان الغداء في مثل هذا الوقت كل يوم

كعادة أبناء ذلك الجيل. ومآلتها ليان في أعمام:

«اعتقد أنك قد اعتدت قضاء وقت طويل في أرض مندوزا في الماضي؟»

فصاحت إيزابيلا قائلة:

«نعم، وأعترف بأنه جاء وقت كنت أعتقد فيه أنني أحب ريكاردو»

«ألى أن ظهر كارلوس؟»

«كلا، وبعد ظهوره أيضاً إلى أن جاء يوم أنقذني فيه كارلوس من السقوط عن

الشصان دهايلو. فأدركت عندئذ أنه الرجل الذي أريد المرأة كما تعرفين يجب أن

تكون مرغوبة ومحبوبة في أن معاً»

وأدركت ليان أن إيزابيلا كانت امرأة مرغوبة فيها حقاً. ويمكن القول

بأن ريكاردو يس منها وهو يرى الفتاة التي أحبها فحونه مع أخيه الذي

يعتقه. وهي لهذا لا تدهش كثيراً عندما تراه يدفن مشاعره العميقة في قنطرة نفسه

لأنه بهذا الوضع لا يمكن لأية امرأة أن تخرج عواطفه مرة أخرى.

وعندما عادتا إلى كارلوس وغرات أحست ليان بأن غرات ينظر إليها

نظرة غريبة ولكنه تظاهر بأنه طبيعي عندما ذكرت ليان أن الوقت حان

لتعطيها. وغادرا المنزل وسط الحاح من إيزابيلا بأن يعودا للزيارة مرة أخرى

قبل انتهاء أجازة غرات. وقال لها غرات: «وها يتعمدان عن المنزل أن

إيزابيلا امرأة سخية وأنه يدرك السبب الذي يجعلها تحبها، وهو أن كلا منهما

تتم بحسن الخلق. فهما تتمتعان بالشهر الحسن ولا يحدث عادة انسجام بين

المرأتين لما المستوى نفسه من الجاذبية، انه شيء مخالف للطبيعة.

وقالت له ليان أنها تشعر بأنها خرجت عن طاعة ريكاردو لقيامها بزيارة

أمة كارلوس، وأن ريكاردو سيغضب كثيراً عندما يعلم بذلك وعندما قال

«لا تبغ ريكاردو بهذا اجابته أنها إن لم تفعل فإن كارلوس سوف يبلغه.

وأرب لها عندئذ عن إعجابه بشخصية كارلوس وعماة خلقه. ولكنه أشار إلى

أما لم يبلغه بأنه مجرد أخ غير شقيق لريكاردو فقالت له ليان عندئذ:

«من الواضح أن كارلوس أبلغك بذلك، وعن أي أشياء أخرى تحدثنا؟»

«أحسنا في أشياء مختلفة»

وعقول أن يتفرد من الرد بتحويل موضوع الحوار مما جعل ليان تحس بأن

كارلوس أبلغ غرات بشيء ما فهل أبلغه بالقصة كلها أم بما يكفي لكسب

عاطفته. واعتقدت أن الشيء الأكثر احتمالاً هو أنه بذل جهده لكسب تعاطفه من

خلال تشويه سمعة ريكاردو. وكشف المؤامرة التي نفذت في اللحظة الأخيرة

لجربته من الميراث الذي يستحقه.

وبعدما قطعنا حوالي ثلاثة أميال شافدا سحياً من القبار تقرب في الاتجاه

العكس. وبعد قليل تكتشف النظر عن عربة يجرها زوج من الخيل يرافقها فارس

عن جواده. وكاد قلبها يتوقف عندما عرفت هذا الجواد بلامحه ولونه المميز فقالت:

«غرات إنه ريكاردو وظلت منه الابطال في السير.

وعندما اقتربت الغربة لاحظت ليان أنها تحمل عندا من رؤوس الخراف

البيسة. وأقرب ريكاردو بجواده من غرات الجالس خلف عجلة القيادة

أسرار في بلا محالب

رسالة:

«أين كنتما؟»

لمدت ليان وهي تحاول أن تبدو واقعية:

«ذهبنا لزيارة إيزابيلا.»

لشده قبضته على المقود كما جعل الحصان يرفع رأسه إلى أعلى ، وقال لها :
سيبحث الأمر قبا بعد ، وطلب من غرانت أن يعيد زوجته إلى البيت في الحال
وعندما أبلغه غرانت بأنه هو الذي أخطأ لأنه اقترح على ليان زيارة
زوجها وأنه لا داعي لالقاء اللوم على ليان ، قال له ريكاردو بأنه سيقرر
بعد من اللوم . وسألت ليان ريكاردو إذا كان أطلق النار بنفسه على تلك
الحراف فقال لها أنها قتلت بأمر منه ، وأنه داعي لأن تتدخل نفسها بذلك المسامح
وأمر ريكاردو باتباع العربة بالسيف

وتحرك غرانت بالسيارة وهو يقول :

«ما شأن تلك الحراف ؟»

فعدد ريكاردو كارلوس بأنه سيقتل خرافه إذا وجدها في أرض متدورة
أخرى . وهو يعتقد أن كارلوس يتعمد ذلك لئيهتك حرمة أرضه .
فهو هو مهتم إلى هذا الحد بالأنا تظاً الأبقار أرضه .
« هذا يشغل كل فكره أنها مسألة مبدأ ، فلا يجب أن تحتفظ بالماشية بالأغنام
أرض واحدة .»

هناك مزارع كثيرة تحتفظ فيها الأغنام بالماشية بدون أي تأثيرات ضارة .
وقال غرانت وقد تغيرت لهجته أنه متأكد من أنها أرغمت على الزواج من
ريكاردو وأنه لا يعرف أي نوع من السيطرة يفرضه عليها فقالت له أنه
أصبح لها أن تختار وناسدته إلا يطلب منها أن تكشف له عن المزيد لأن
لا تتعلق بها وحدها . فقال لها أن المشكلة لا بد أن تحسها أن كانت لها علاقة
بأي شكل من الاشكال . والعلاقة مؤكدة من جميع النواحي . ولا يمكنها أن تصبر
بقية حياتها دون إرادة ريكاردو ونزواته حتى لو كانت تحبه فريدت

أمر آخر بلا مقابل

لقد سافرت بمنطقة لا سيطرة لها عليها، وسألته:

«هذا الذي يجعلك متأكدا أنني لا أجد».

«حقيقة محزنة».

«أخري... ولا أعرف حقيقة شعوري».

«لما كان شعورك، فليس هذا بالحب».

«نعم في توتر وهو يرقب الطريق الشراي أمامه».

«هل لي أن أسألك سؤالا شخصيا».

«نعم، وأرجوك ألا تتدخل في هذه المسألة».

«أصبح لي دخل بهذه المسألة منذ التقينا.. ولن أترك الأمر هكذا ما لم تقميني

بك في البقاء مع ريكاردو».

ورجعه وقد أخذت تنازعها مشاعر متضاربة، وفكرت في أن أقصو صرة

أعزى افتاء الحقيقة له، ولكنها فكرت أنه لا فائدة ترجى من وراء ذلك، فالزواج

ليس وإن كنت لن يستمر، ولن يسمح لها ريكاردو مطلقا بأن تخرب انبساطها

اللاشقي الذي فرضه عليها مقابل الثمن الذي سيدفعه، أنها لا تريد هذا المال

أخري.

وما أن وصلت السيارة إلى بيت منشورا حتى دلفت ليان بسرعة إلى

البيت بعد أن اعتذرت لقراءته. أنها لا تعرف متى يعود ريكاردو، وقد أوشك

الجميع أن يوحى استناره بعد نصف ساعة. مازالت تذكر النظرة الصارمة التي

يحبها ريكاردو عندما فاجأها في أرض ريفها كما أنها لا تنسى منظر

الجمال المثلثة. أي نوع من الرجال هذا الذي يسمح لنفسه بقتل حيوان كهذا.

لقد كان في إمكانه أن يعيد الحراف المثلثة إلى كارلوس الذي سيحصى بخطأ

الجميع فلا يفعل هذا مرة أخرى.

سمعت ليان صوت ريكاردو يقف في بئرته التي مازالت غامضة.

والصوت ليان التي كانت ترتدي ملابسها بعدما أضيفت حماما، أن عودة

ريكاردو بسرعة تشير إلى أنه لم يضيع وقتا في مناقشة أخيه غير الشقيق.

وتحليته وقد ألقى بالأغنام المقتولة أمام كارلوس كما تحلته وهو يرمق ايزابيلا، إن كانت قد حضرت هذا المشهد بنظرة نارية، فهذا كله يحدث بينها ولكنها ليست لحظة، فيجب على ريكاردو أن يدرك أن من حقها أن تتفخر من الحب.

ودخل ريكاردو غرفتها بعدما استأذن هذه المرة في الدخول وانتظر حتى أدت له. وأحست بأنه مرهق وفي داخله أحساس عميق بالقلق يفوق ما يعانيه من إرهاق بدني. وسألها وقد ضاقت عيناه:

«هل تجدين متعة في تعذيب لي»

«كلا».

«ظننت أنني لن أعرف شيئاً عن زيارتك لامتانيا ريجاء»

«في الواقع كنت متأكدة أنك ستعلم بها».

فرجع حاجبيه قائلاً:

«فأنت إذن لا تحبين نفسي».

فانصبت قلب في مواجهته ودقات قلبها تسرع لكنها حرصت على أن ترفع رأسها وهي تقول له:

«وهل كل ما تريده هو أن أخشاك؟ وهل تلك هي وسيلتك الوحيدة لتضمن طاعتي لك، أردت زيارة ايزابيلا فهي المرأة الوحيدة في المنطقة التي يمكنني التحدث إليها».

«ورأيت كارلوس أيضاً لقد كانت المتعة الكبرى لكارلوس هي أن يروغ من الحقيقة أمانى».

«مثلاً كانت متعك في طرح أغنامه أمام قدميه».

«إنها أغنام ريجاء وقد تم تعذيبه».

«وعندما حاولت أن تتكلم رفع يده قائلاً:

«لن أسبح منك المزيد، فأنت تعذبيني فقط ولكنك تقضين معظم اليوم أيضاً مع ضيفنا».

«أعتقد أنك طلبت السير على ضيفنا».

«يمكن ليس بهذا الأسلوب الصارخ. ألا تعلمين أن الخدم لاحظوا الطريقة التي تحدثان بها وتضحكان وكيف أخذتا تلمسان الأعداء للاقترب من بعضكما».

«ليس هذا بصحيح».

«أخفاً لقد لوحظ عليكما ذلك».

«بواسطة ايتيز على ما أظن».

«الاجم بواسطة من، وأنتي لن أسمح بشيء من هذا بعد الآن، وإذا كنت لا تريدن أبداً زيارة ابن بلدك هذا لنا، فعليك الالتزام بأداب السلوك في التعامل معه، وفي الوقت نفسه عليك الابتعاد عن استانسيا ريجاء».

وظلت ليان تجملق في الباب لحظات طويلة بعد انصراف ريكاردو. إنه رجل متصلب ولا يسهل الوصول إلى قلبه. إنها تذكر الأيام التي سبقت زيارة غرات للبيت واتصام ريكاردو غرفتها تلك الليلة. كانت هناك أوقات تشعر فيها بأنها توشك أن تنفجر ولكن تلك الأيام زلت الآن ولم تعذبها إلا بعد. وتساءلت إذا كانت تستطيع أن تتحمل فترة الخمسة أشهر المقبلة تنفيذاً لالتفاتها. إنها لا تستطيع أن تذهب إلى أي مكان أو غادرت الاستانسيا وحتى لو تركتها تستقل زوجة ريكاردو فلا تخرج أمامها من هذا الوضع. وأثناء تناول طعام العشاء لم تلاحظ أي تغير في المعاملة بين ريكاردو و غرات. ورغم أنه فهي لا تعرف إذا كان ريكاردو قد تحدث مع غرات بشأن زيارتهما تخرج ريجاء وأبلغها ريكاردو بأنه مضطر أن يسافر غدا بالطائرة إلى تانديل رغم أن الجوسيكون عاصفاً ومن غير الملائم أن يصحبا في هذا الجو بل الأفضل لها البقاء في المنزل. ولاحظت ليان من شعته المزوجة بالفضب أنم أنه يقصد معنى آخر بالجور العاصف خاصة وأنه أصبح لا يثق في بشأنها.

وبعد ذهاب ريكاردو في صباح اليوم التالي اقترح غرات على ليان أن يفوجها لزيارة سانتينا على ظهر الخيل. فرحبت بالاقتراح فوراً لرغبتها في

امرأة بلا مخالب

سبية وأثارت فيه مثل هذا الاهتمام بها. ولو كانا في مكان آخر لأصبحت في نظره
شاة عادية. وأدركت أن رجلا مثل غرانت يجب مراجعته بانتعدي. ومأنته.
ما الذي قاله لك كارلوس؟

قال لي ما يكفي لأعرف أنك قد استخدمت كأداة. هل عرفت قبل زواجك منه
السب الذي دفع بريكاردو الى التعجيل بالتحالف زوجة على وجه السرعة؟
« نعم قلت »

« رغم ذلك فأنت مستمرة معه في هذا الوضع »

فطلبت منه ليان ألا يتحدث معها في هذا الموضوع لأن الكلام لن يغير
من الأمر شيئا. وأنها أصبحت مرتبطة بهذا الرجل. فقال لها أنه ليس شاة
ساروشها على أن تظل مرتبطة به وأنه يستطيع أن يخرجها من هذا الوضع اذا
أرادت.

بعضت فترة من الصمت قالت ليان بعدها بنبرة غامضة وكأنها تتحدث
عن شيء صحتها.

« نعم أنك تحاول أن تكون نظيفا ومغفيا. ولكن لاجل هذه المشكلة. فأنت
تذهب الى عملك وليس لي مال يخصصني بالقرعة. فهل أستطيع أن اقترض منك
سلفا يمكنكني من العودة الى انكلترا وماأكون ممتنة لك دائما »

فتהלل وجهه وقال لها:

« ليان ، انتي لا تحاولي فقط أن تكون لطيفا، فأنا أحاول أن أخرجك من هذه
المرحلة من أجل مثليا هو من أجلك. ماذا أقول أعبرك عن شعوري بحرك... »
وأطرق قليلا وأضاف بصوت أجس:

« ليس أخيك باليان. واعتقد أن حيي لك بدأ منذ أول ليلة. عليك أن تدعيني
خارجك من هذا المكان، ويمكننا أن ننسى الأمر. فليس لريكاردو أي حق أدبي
عليك »

فردت عليه في ألم:

« لأن له حقوقا قانونية. ولا يمكنكني أن اغادر أرضي متزوجا فهو لن يدعيني

الذهاب الى أي مكان خارج مزرعة مندوزا. وعندما توجهنا الى الأسطول
نصحبنا الناس بعدم ركوب الجياد في هذا اليوم لأن السحب الملبدة تضر بالظفر
فقلت ليان أنها سيهوتان قبل هطول المطر وهي تحس بأنهما ما تم يخرجها الآن
قلي يتاح لها ذلك مرة أخرى.

وبعد أن خرجا بالجوازين قال لها غرانت أنها في حاجة الى اتخاذ قرار. فطلبت
منه عدم إثارة هذا الموضوع مرة أخرى. واقترح عليها أن يتسابقا فرجت وقالت
له إنها تستطيع أن تسبقه الى المضخة الهوائية التالية. وانطلقا في مرج وسط
المروج والمناشبة والقيوم لتجمع فوق تلال سيرادي تانديل. واقترح عليها
غرانت أن يخرجها الى محطة شحن المناشبة بالسكك الحديدية. فقلت له أنها
بعيدة والمطر يوشك أن ينهمر فأجابها بأنه لاجم أن تبطل ملابسها.

وبدأ المطر ينهمر وهما مازالا يبعدان مسافة كبيرة عن محطة الشحن فلجأ الى
كوخ قريب للاختباء به. ومع صوت الرعد قال لها غرانت أنها قد لا يشككان
من مراقبة السير قبل مضي ساعات عدة. فقلت له:
« في أي الحالات يجب عليها أن يواصل السير »
« أخالفة أنت بما قد يحدث اذا عاد ريكاردو قبلنا »
فردت وهي تتجنب النظر اليه:

« ريكاردو وصل الى تانديل الآن. وإن استمر هطول المطر على هذا النحو
فربما لا يعود »

« أعتقد أنه سيعود. ولو لمجرد التأكد من التزامنا بأداب السلوك. أنه لا يثق في
وجودي معك »

« كلا، انه لا يثق في أنا. وهو يعتقد أنني أصبح الناس على التردد الى »

فرد عليها بنبرة حركت مقاعرها:

« وفقا أنك تعلمين ذلك بأشد الأساليب رقة... إننا نجذب نحو بعضنا ولو كنا
التقينا قبل زواجك هذا لحدث لنا الشيء نفسه »

ونظرت إليه ليان وهي تشك في صحة مايقوله. فالظروف وحدها جعلت

فقال لها بلهجة اصرار مفاجئة:

«لن نطلب منه هذا، فسوف نذهب الآن وقيل ان يعود، يمكنك ان استأجر طائرة من سانتينا وعندما تصل الى تشاكو سيجد من الصعب عليه أن يفرض عليك أي نوع من الحقوق».

ونحن وجهها واتسعت عيناها وهي تقول:

«غرانت، هذا مستحيل، وأنت تعرف ذلك».

فرد عليها بسرعة وبلهجة افتحاح:

«كلا، ولا شيء يصبح مستحيلاً اذا أصررنا على تحقيقه، يمكننا العودة الى البيت الآن خلال ساعة، ونستطيع اعداد أنفسنا وتغيير ملابسنا خلال ساعة أخرى، ونحتاج الى ساعتين أخريين للوصول الى سانتينا، ولن يعود ريكاردو قبل مرور هذه الليلة، وحتى اذا فعل فسكون قد وصلنا الى تشاكو».

«وماذا عن العامين في المنزل».

«وماذا عنها، هل سيمضوننا من الفاشي، فليجربوا ذلك».

صحيح ان ليان لا تحب غرانت لكنها تشعر بالأسف وتشعر بأنها مرغوب فيها ولكن ليس كما يرغبها ريكاردو وغرانت. يعرض نفسه لمشاعب يفر منها معظم الرجال، ولكنه يجد أن الأمر يستحق المخاطرة، وإذا كان معنى ذلك انه سيفوز بها في النهاية ومثل هذا الرجل من السهل الوقوع في حبه لأنها تريد أن تحبه وهما يستطيعان معا أن يواجها أي شيء قد يحاول أن يفعله ريكاردو وقالت له بصوت أجش:

«اتلقنا، سأذهب معك يا غرانت، فهيا تسرع، أرجوك».

٨ - الهروب

وعادا الى الاسطول حيث سلبا الحصانين الى السانس بدرو، ثم دلفا الى سزل من المدخل الخلفي عن طريق القنات وصعدا الى الشرفة بدون أن يريا أحداً أو يراهما أحد. وقال لها أنه سيحضر أمتعته ويأتي الى غرفتها فأبلغته بأنه ليست شيئا أية حقائب وأنها ستضع أشياء قليلة تحضرها مع أمتعته. فقال لها أن في مكانها شراء ما يحتاجان اليه فيها بعد ولن يستغرق وقتاً طويلاً في اعداد نفسه. ودلف الى غرفتها من الباب المؤدي الى الشرفة، فأسرعت ليان بوضع ثيابها القليلة داخل حقيبتها بدون أن تسمح لنفسها بأن تفكر في أي شيء. فقد سلمت قيادها لغرانت، وأثناء نزولها على السلم لمحتها إينيز بدون أن يخطر ببالها في تلك اللحظة معنى وجود الحليمة مع غرانت. فقال لها غرانت بلاسبانية:

«نحن ذاهبان، ويمكنك أن تقولي لبيدك أننا لن نعود».

ورغم شعور إينيز بالصدمة أثلثت على ليان مما سيفعله ريكاردو عندما تبلغه برحيل زوجته مع ضيقها. واستغل غرانت السيارة برفقة ليان في طريقهما الى سانتينا التي تبعد مسافة أربعين ميلاً تقريباً، وكان المطرما زال ينحصر ولكن ليس بالثمة نفسها التي كان عليها منذ بعض الوقت، وساد الصمت بينهما لفترة من الوقت أحس فيها كل منهما بالتوتر الذي يعتدل في صدر الآخر. وعندما أصبحا عند مشارف اليلدة كانت ليان تهتز من داخلها وتشعر بأنها مريضة. وأخذت تحدث نفسها عما تفعله هنا مع غرانت؟ وكيف يحققان سعادتهما معاً بالحرب؟

امرأة بلا مخالب

ولو كان غرات يشعر نحوها بتلك المشاعر التي حدثها عنها ليبي وواجه ريكاردو وقال له أنه يعترم أخذها معه.

ولكن هذا ليس عدلاً لأن ريكاردو سيطلب من رجاله عندئذ وضع غرات في أحد القطارات المتجهة إلى الساحل وربما لفه درسا أيضاً لكي يذكره عند عودته إلى وطنه.

وعندما وصلا إلى مطار سانتينا أدركا أنه لا توجد سوى طائرة واحدة جافزة للابحار - إلا أن الطائرة غير موجودة ولا بد من الانتظار بضع ساعات. فاقترح عليها غرات أن يبيتا في سانتينا حتى الصباح أو يأخذا قطار الساعة السادسة والنصف الذي يتوجه نحو الساحل. فقالت له أنها لو باتا الليلة هنا فمن المؤكد أن ريكاردو سيبحث عليها. فرد عليها بأن هناك وسيلة لمنع من إرجاعها معه إذا عثر عليها وذلك بأن يبيتا له أن كلا منهما يجب الآخر وبذلك يمنع كيربازو من أن يعود بها. فقالت له بنعمته:

«ولكنه قد يفلتنا معاً».

«ولماذا يفعل هذا، إنك بزواجك أعطيت ما يحتاج إليه، وليس ثمة ما يدعو الآن لأن يقوم بدور كلب الحراسة معك».

«لقد ذكرت الكبرياء الآن، وهذا وحده سيكون سبباً كافياً».

ونظرت ليان إلى وجهه وقالت له بصوت يعبر عن التمسك الذي يعمل في نفسها:

«غرات، هل أنت واثق من مشاعرك نحو لي. إذا كان كل ما تريده هو أن قضى ليلة معي...».

لقاطعها غرات بصوت حاد وهو يجلبها ويكسها وقال:

«لا يمكن أن يكون الأمر هكذا؟ من تظنني؟ انتي طبعاً أريدك. ولكن ليس الليلة واحدة، انتي أريد أن أزوجه».

وبحاولت أن تبسم وأن تصدقه وهي تقول:

«وماذا عن خبطة السنوات الست».

«والجميع بهذه الخبطة فقد وضعها قبل أن أعرفك».

والجميع أيضاً بعلمي في تشاكرو إذ يمكنهم العثور على واحد غيري.

لمحت عليه باحتجاج:

«لا يمكن أن تتخل عن عملك تماماً، لن أجيبك تفعل هذا من أجل».

«لا يمكن معي، وأنا لن أقفل عن عملي، بل سأترك تلك الوظيفة فقط ويمكنني أن أعود على غيرها بسهولة».

وبدأت ليان تحس بالآثار التي ستتبع على المدى البعيد عن التصرف

الذي يقدمان عليه. فقد تحطمت حياتها الآن كما سيفقد غرات كل شيء».

بمها كان شعوره نحوها الآن نسوف يأتي وقت يكرهها فيه عندما يشعر بأنها

السبب في انهياره. وجذبت يديها من بين يديه قائلة:

«لا فائدة من هذا الأمر كله جنون، سوف أعود بلا غرات».

«كلّا».

هل يجب أن أعود، استعصمت كرسية للخروج من حوض كان يمكن ألا أفع

فيه لو أحسنت التصرف أنتي لا أحسن، ولا أعتقد أنني أستطيع أن أروى ظبي

على حبك».

فقال لها في اضطراب:

«لا أعتقد هذا فأنت تقولين ذلك لاعتقائك بأنني أقوم بتضحية ما عندما أخذك

معي. ولو كنت لا تشعرين بشيء ما نحوي لما وافقت على الفرار معي».

«لم أفل أنتي لا أنتي شيء نحوك...».

وقال لها:

«وما المشاعر التي أثارها فيك ريكاردو؟ هل يعوضك جبه عن أي شيء آخر؟ هل

هذا هو كل ما لا تريد تركه؟».

فهزت رأسها قائلة:

«ريكاردو، لم يبد الحب نحو لي، فما بيننا هو انشاق عسل. وبعد خمسة أشهر أخرى

سأكون حرة في مغفرة هذا المكان، ومن ثم فلا داعي لكل هذا الشيء أسفة

لتفصيلك على هذا النحو يا غرانت ولم أكن أريد أن تتطور الأمور إلى هذا الحد.

«لا أعتقد هذا فأنت تقولين ذلك لاعتقادك بأنني أقوم بتضحية ما عندما أخذك معي. ولو كنت لا تشعرين بشيء ما نحوي لما وافقت على القرار معي.»
«لم أقل أنني لا أشعر بشيء نحوي...»
وقال لها:

«وما انتشار التي أثارها فيك ريكاردو؟ هل يعرضك حيد عن أي شيء آخر؟ هل هذا هو كل ما لا تريدین تركه؟»
فهمت رأسها قائلة:

«ريكاردو لم يبد الحب نحوي، لها بيتنا هو اتفاق عمل، وبعد خمسة أشهر أخرى سأكون حرة في مغادرة هذا المكان. ومن ثم فلا داعي لكل هذا. أنني أسفة لتفصيلك على هذا النحو يا غرانت ولم أكن أريد أن تتطور الأمور إلى هذا الحد.»

ونظر إليها وكأنه يراها لأول مرة وسأها عن نوع الاتفاق الذي تم بينهما فقالت:

«أقصد أنه استأجرتني لأعيش معه ستة أشهر حتى يشي بشروط وصية أبيه. وإذا رحلت فعلاً الآن سوف أحمي ثروة صغيرة.»

فهمت رأسه بشدة وقال لها:

«لأ أقبل هذا الكلام، ولكنني أعلم أنك بائسة من الفراغ وأي مبلغ من المال لم يكن ليغيريك على البقاء معه إن كنت قادرة على الرجوع.»

وبقي وجهها في رفة وهو يقول:

«وليان أسعدني كلامك الذي قلته الآن كما لم يسعدني أي كلام آخر من قبل. وكنت أعتقد أنك تعيشين مع ريكاردو بكل مشاعرك رغم أنك لا تحبينه، إن رجلاً مثله ما كان له أن يتركك وشأنك، ولو كنت مكانه لفعلت الشيء نفسه.»
فردت عليه بقولها:

«من الانصاف أن أذهب معك وأنا أعلم أنني لا أحبك. ولا بد أن أعود إلى منزلة التزاماً أخلاقياً بأن أتم ما بدأت.»

ورد عليها في اضرار متجدد:

«أفعل عن هذا الأمر بسهولة. وأنا لا ألزمك لعدم تصديقك حقيقة مشاعري بحبك. فأنا استحق هذا بسبب إقتراحي بأن ندع ريكاردو يروا سوية. لنذهب إلى البلدة الآن ونبحث عن مكان نبيت فيه.»
وعندما رافقه بنظرة سريعة تدارك قائلاً:

«مسلماً. لنبحث عن مكانين للبيت.»

وأجبت برغبة مفاجئة في العودة إلى مزرعة مندوزا. قد لا تكون سعيدة هناك ولكنها على الأقل تعرف أسوأ ما فيها. وتوسلت إلى غرانت أن يتركها على السيارة وتعود على أن يستقل هو القطار في الصباح، فأجابها بأنه لن يذهب سوية. وأحار محرك السيارة وتحرك بها وتوجهت إلى غرفتها في الفندق لتشرح حيا أبلغها غرانت بأنه سيأتي بها في الساعة وأضطجعت على سريرها الصغير وهي تفكر إذا كان ريكاردو قد عاد إلى المزرعة أم أنه يمضي ليلته في الفندق. كان يجب عليها أن يأخذ السيارة ويواصل السير بها حتى يصبحها حيداً عن تناول يد ريكاردو. ولكن هل هذا ما تريده حقاً؟

إنها إذا اتخذت تلك الخطوة الأخيرة فإنه سيفقد مزرعة مندوزا. فهل يحتمل ضميرها وزر هذه الفعلة ما بقي لها من عمر؟

وسمعت دقات على الباب ففتحت في ساعتها وسط الظلام فإذا هي تشير إلى الساعة إلا الربع لقد حضر غرانت مبكراً عن مواعده. فنهضت وأقيمت لتفتح الباب بدون أن تشهد ألوار الممرقة. ووجدت نفسها فجأة أمام وجه ريكاردو المتجهت ففسرت في مكانها بدون أن يبدو عليها أي تعبير وقال لها:

«لبسي حذاءك. هناك سيارة تنتظر في الخارج.»

وسألته بدون أن تبدي خراجاً:

«أين غرانت؟»

فرد عليها والشرر يتطاير من عينيهِ السوداوين:

«متهوذين على النطق باسمي! لقد خرج من نطقي وعانيتك الآن».

وابيض وجهها وهي تقول:

«ريكاردو، أرجوك قل لي ماذا فعلت به؟»

«لم أفعل به شيئاً، وسوف يوضع في القطار صباح غد بدون أن يتألم أي أدنى

لينقله إلى السال بعد أن يتلقى تحذيراً بالأمر يرجع مرة أخرى».

«وإذا عاذ».

فقال في حجة تحمل معنى التأكيد الصارم:

«سوف أقتله، هنا اليحي حذائك والا اخذتك من هنا حافية القدمين».

وقالت له وهي تسرع باطاعته أن لديها بعض الأشياء تريد أخذها، فطلب

منها أن تترك كل شيء مكانه وتركها تخرج أمتعة، وعندما مرت أمام غرفة

غراتش أصبحت يائساً يهيج أن تفعل شيئاً، ففتحت الباب بسرعة لتجد غراتش

جالساً على سريريه ويجواره وجلان من مزرعة مندوزا يهرسانه، فسلطت

غراتش إذا كانت على ما يرام وشككها من أن هذين المارسين يقيدان حركته

وأنه في ذمير منها، وهنا تدخل ريكاردو وأبلغه بأن هذين الرجلين ليسوا

تعلقات بالمحافظة عليه إلى أن يحين موعد سفره في القطار. وقال له أنه محظوظ

لأنه لم يشع معه الوسائل الأخرى التي تتبع مع رجل مثله.

وأثارت ليلان أن تلك هي فرصتها الوحيدة لتتحدث إلى غراتش فقالت

له بسرعة:

«غراتش، انصت إلى ما أقوله لك، إنني أريدك أن تذهب وتنتهي هذه المشاة

تماماً، كنت سأعود في أي الحالات، وقد أبلغتك بهذا منذ قليل، إنني أسف لك

حدث».

فظهر اليها بحدة ثم رفع كفيه مبدئاً موافقته وقال لها إنه أسف هو أيضاً

وجلبها ريكاردو عندئذ خارج الغرفة وغادرا الفندق واستغفلا السيارة في طريق

العودة. وبدأت ليلان تتحدث إلى ريكاردو عندما خرجت السيارة من

حاجبه

«كنت أعني ما قلته منذ قليل، كنت فعلاً سأعود».

فرد عليها في جفاف وسخرية:

«هذا واضح، كنت ستعودين عن طريق الساحل كما أعتقد أليس كذلك؟»

«لا، وأنا أعرف أنك لن تصدقني».

«ما دام الأمر كذلك فمن الأفضل أن تزعمي الصمت أثناء الرحلة، فأننا لست

ستعدين الليلة لمعادلاتك».

فردت عليه وقد وصلت إلى حافة اليأس:

«لا بد من مناقشة الأمر، فلا يمكنك أن تتجاهل ما حدث».

فقال لها في رقة:

«ما أريد، وهذا ما ستريه، عندما عدت من تانديل بعد ظهر اليوم

في هذا لا بلاغك بحديث تغيير في شروط اتفاقنا».

فردت تعجباً:

«لماذا أريد إننا وسوف نتجيبه لي».

فردت عليها واعتذلت في جلستها وهي تقول له:

«لا، إنني أفضل الموت على هذا».

فرد عليها بسخرية:

«من السهل عليك أن تقولي ذلك الآن، ولكن الحياة حلوة، عندما علمت برحمتك

كنت أعترض قتلك، ولكن هذا هو ما صنعتي، إنك محظوظة».

فظهرت اليها ليلان في حدة قائلة:

«لقد كنت لمدة ستة أشهر، وقد قطعت لي وعداً».

«أعطيتني أنت أيضاً وعدك، أنا الآن متكالفة».

وجاء عليه الغضب لأول مرة منذ مغادرتها الفندق وقال لها

«سأقنعك أن قلت لي إنني لا أختلف عن أبي، وربما كنت على حق في هذا، فقد كان

لي يأخذ ما يريد بدون مراعاة لمشاعر الآخرين، وإنني أعترض أن أفعل هذا

الليلة. ومن الآن فصاعداً ستعيش كزوج وزوجة.

وأطرق هنيهة كأنه يشفق رؤاً منها، ولكنها أطبقت شفتيها دون أن تنطق بكلمة، فأخاف قوله:

«وفي اليوم الذي تنجبن لي فيه ولداً سأمتحك مبلغاً من المال يجعلك تعيش حياة مرفهة. ويمكنك في تلك الحالة الذهاب إلى صديقك غراتشاه وتنفس في توتر وقالت:

«وهل تظن أنني سأوافق على هذا؟ هل تعتقد أنني سأترك طفلي معك؟»

«الطفل سيصبح أحد أفراد أسرة مندوزا أي أرحمتي»

وهز كتفيه بعدم مبالاة وهو يضيف:

«وبرغم ذلك تستطيعين البقاء معه إذا شئت برصفك أمه»

فرمته ليان وهي لا تصدق ما تسمعه وقالت له بنبوة مذيبة:

«أقول إذا شئت، لماذا تفعل هذا يا ريكاردو؟»

فرد عليها بوجه متوتر:

«توقع كارلوس أناس في الحلقاً عندما ذكرني أنني لما تم أنجب وريثاً فإن

أرخص مندوزا ستؤول إلى أسرته. وأنا لن أسبح بحضور ذلك»

«وما الذي أمراك بأنني سأنجب أطفالاً؟»

«ولماذا أمك في هذا، فأنت شابة وفي صحة جيدة»

فردت عليه في غضب وحرارة:

«كلما شئت أنني تصلح للأنجاب»

واندفع جسدها إلى الأمام عندما أوقف السيارة فجأة وبهتف. وقال لها إنه

ليس حيوان، وأنه سيعرف كيف يجعلها هي نفسها تنزلق إلى ما يريد. وشاخصت

ليان في مقعدها وهي تحس بأنها فزعة من ريكاردو. ولم يكن مصير فرغها

اعتزامة معاشرتها معاشر الأرواح، وإنما كانت تخشى أن تقع هي في حبه. قد

يرغمها على أن تسلم إليه ولكنه لا يستطيع أن يملك عقلها ومهما يكن فإن

الحب ليس أمراً حيويّاً بالنسبة إليه.

بجسداً وصل إلى المنزل. كانت إينيز تقف في الانتظار وهي تنظر إليها

بحزن أن يتسم وبدون أن يظهر أي احساس بالانتصار في نظرتها. وصعد

ريكاردو أولاً ثم طلب من ليان أن تلحق به ولكنها وقفت مكانها فقال لها:

«يا أصغدي إلى غرفتك قبل أن أمسك اليها بنفسني ولن يجلب لك هذا سوى

المهانة»

وطرقها بقزاعه ورافقتها في الصعود. فسألته في توتر شديد وهي تشير إلى ما

يجزم عمله معها الليلة:

«تتصور أن تلحق بي مزيداً من المهانة؟ أليس كذلك؟»

«أنتي زوجك واعتزمت مشاركتك الفراش، وسواء أتم ذلك برغبتك أم بدون رغبتك

أنتي متروكة لك»

وبوجه كل منهما إلى غرفته، وأحضرت إينيز بعض الطعام والخساء والقهوة

إلى غرفة ليان ورمقتها بنظرة ذات معنى. فالاعتاد أن الزوج يضرب الزوجة

عزبة بعد أن يبعدها إلى البيت. وهذا ما يجعل إينيز تفسر سبب بظهور

الصراع الذي تيمر به ليان الآن.

وبارتمشت ليان قلباً من القهوة المرة وجلست في توتر تنتظر مجيء ريكاردو.

لا فائدة من قيامها بإغلاق الباب لأنه يستطيع أن يخطفه من مكانه ويطرجه

أرجاً فهو بيته وهي زوجته وليس أمامها أي مكان آخر تلجأ إليه لتكون في

سبي منه.

وبذلك ريكاردو إلى غرفتها في هدوء وأغلق الباب خلفه.

بعد الأثر مثلما فعل أبوه. وقالت لنفسها أن هذا لا يمكنه أن يحدث ، ولا يمكنها
أن تنجب طفلاً من رجل لا يشعر نحوها بأي عاطفة.

لكن ريكاردو على مائدة الافطار في الفناء عندما عادت ليان الى البيت
لمسدت الى غرفتها للاغتسال وتغيير ملابسها ونزلت الى الفناء واخذت مشعلها
من المائدة وهو ينظر اليها نظرة لا تكشف عما في نفسه وان كانت تعني أنه يتذكر
ما حدث بالأمس ، وقال لها:

«لم تخبري احداً بالمكان الذي ذهبت اليه»

«نعم ، أعلم أنني ذهبت لامتطاء روكو»

قالت في رصانة وبدون أي إرتباك وهو ينفضحها ببصره ، وأخذت تصب لدرأ
من العصور في كوبها وقالت له:

«بعد الجو حاراً كما كان عندما جئت الى هنا اول مرة ، سأحتاج الى بعض
اللباس الشتوية لأحصل لفصل الشتاء»

«أتدرك شراء ما تحتاجينه من سانتينا»

«نظراً بلهجة متعبدية»

«لم يفت الوقت بعد»

«أعتقد أنك ستضربني ان لم أبدأ احتراماً كافياً لزوجي»

«نأبسم في سخريه وقال لها:

«أعتقد أنني سأخذك فوق ركبتي وأضربك كالطفل ويبدو أنك مصممة على أن
تظل كالطفل»

فردت عليه رداً مضحياً ، إذ قالت:

«لا أستطيع أن أكون طفلة ، وقد تأكدت من ذلك بنفسك ليلة أمس»

قصت بعض الحفلات قبل أن يحدث فيها بتعبير يصعب معرفة كنهه وقال
لها:

«أرجو من مني أن أعطرك ما حدث»

فردت عليه وقد تبدلت ملامحها التي كانت تعني بأن تظهر بشعور اللامبالاة

٩ - الدم البارد

واستيقظت ليان من نومها المقطوع وهي تضع يدها أمام عينيها كأنها
تحاول أن تمنع بداية يوم جديد. وكان ريكاردو قد غادر الفراش قبلها بساعات
متجهاً الى غرفته بدون أن ينشر بأي كلمة ترضيه لها. كانت تجربة مؤلمة لا
تنتهي لكنها سبقت تنويمه حتى يكف عن محاولة يلها بالقوة. وتنهضت من
فراشها وارتدت الملابس التي اشتراها لها ريكاردو من سانتينا يوم وصول
غرائث الى المنزل لزيارتهم. وأحست ليان من طريقة تحية خدم البيت لها
أنهم عرفوا بأحداث اليوم السابق وهو ما يحدث عادة في المجتمعات الصغيرة.

وقررت ليان أن تسرع الى الاسطول فهي تعلم أن ريكاردو ربما يركب
رأسه ويخرج لامتطاء الخيل في الصباح الباكر ، وفروت أن تواجهه في ضوء النهار
لكي ترد بظهور اللامبالاة من جانبها على نظرة الازدراء التي لابد أن تصدر عنه
ان شعوره بالانتصار سيكون نابهاً ، في جانب منه من احسانه بأنه تمكن من
الاطلاق تماماً أثناء تجربة الأمس واستطاع اخضاعها لرغباته. ولكنها لا تستطيع أن
تخضع أبداً له. وكلما أسرع بتأكيد هذا له كلما كان ذلك أفضل.

كان الصباح لطيفاً وأخيراً مبللاً بالرطوبة على نحو يلائمها. وأخذت ليان
تفكر في أنها لو أنجبت لريكاردو الطفل الذي يريده فإنه سيكون على حد

تعود:

«كلا، لا أريدك أن تعتذر، وإذا تفعل هذا؟ أنني نملك لك في أي حال، ومن المفروض أن تستفيد مني الفائدة الكاملة.»
«هل تعتقدين أنك قدمت تلك الفائدة؟»
«ولم تستطع عندما أن تسيطر على اندفاعها وهي تقول له:
«هذا هو أقصى ما تستطيع الحصول عليه مني.»
وهز كتفيه بلا إكثراث وقال:

«كما تشاءين.»

إن الأمر ليست له أهمية تذكر بالنسبة إليه، وإذا إذا تضايق نفسها من جديد في حين أنها كانت تدرك هذا من قبل؟ في استطاعت أن يأتي الليلة وفي أية ليلة أخرى يشاء لبارس حقوقه المزعومة بدون أن تستطيع منعه، وسيكون الثمن طبعاً مجرداً من العاطفة كأبيه لم تعد تحتل التفكير في هذا.

لقد اضطرت ل تناول الطعام عندما قدمته لها خواتمها، ورغم أنها لم تكن تشعر بالجوع.

وتذكرت فجأة أنها لم تذق أي طعام منذ تناولها الأظفار أسس، وهو ما يبرر كيف أن الطعام لا يهتم كثيراً عندما يكون الفكر مشغولاً.

وتركها ريكاردو قبل أن تنتهي بدون أن يعاً قبلها بموعده عودته وأصبحت ليان وحيدة من جديد، وعليها أن تبحث عما يسري عنها وحدتها. غرانت سيكون في تلك اللحظة في القطار الذي يسرع به نحو الساحل. وبذلك تكون هناك قائدة ترحي حتى لو كانت قد رحلت معه. فهي لا تحب غرانت، بل تحب أحداً بالذرة، وقد تهرت الآن من أية مقبرة كانت قلبيها لبارس الحب، وهذا خير لها.

وبما كانت ليان تنجول عند المدخل المجري للضيعة رأت سراً لاندروفر تقرب وتزول منها إيزابيلا التي قالت في معشبة عندما لمحها ليان:

ليان:

«هل هذا معقول؟ أكانوا يكذبون عندما قالوا أنك هربت مع غرانت إدواردز؟»
«هذا صحيح، لقد أسسك بنا ريكاردو، هل جئت لرؤيته؟»

«جئت لرؤيتك أنت، أليس ريكاردو هنا؟»
«كلا، أليس هذا بغيره؟ إنك تعتقدين أنه لا يمكنه الآن أن يطمئن لبقائي بعيداً عن نظريه. لكن غرانت في القطار الآن وفي طريقه إلى الساحل، ولا يمكنني أن أرحل من هناك.»

تربت عليها إيزابيلا في رقة وهي تستعطفها:
«سأرجو أن لا تكوني هكذا، وإذا كان ريكاردو جعلك تسمي إلى الهد الذي عهد أن تركه فإنه لا يستحق الشفقة، ولكنه مازال زوجك.»
«ببوت ليان في نهكم.»

«سأرجو أن يستحق أن يقدم في ولاء، أنني أسسك يا إيزابيلا، فما كان يجب أن أقول هذا الآن، لا تلتقي بشأني فسوف تتحسن حالتني.»
«ستطيع أن أمتنع نفسي من الغلق، فأنتي أحب ريكاردو، وقد قنيت أن أصبح يوماً ما صديقة لزوجته، وما خذت كان يجب أن يظل سرّاً بينكما وحدكما، بل جئت لأعرف حقيقة الأمر. وفي الواقع هناك مسألة أريد التحدث معك فيها، أعرف كيف أبدأ الكلام.»

فدعتها ليان لدخول المنزل للتحدث في الداخل ولكن إيزابيلا قالت لها أنها لا تستطيع ذلك قبل الحصول على بركة ريكاردو. وعندما سألتها ليان عما كانت تقصد رفضاً عن زواجها من كارلوس أجابها بأن هذا جزء من المصراع الذي ستجدها فيه.

واضطت إيزابيلا أنفاسها ثم تهوت وأضافت قائلة:
«مستمر العداء بين زوجي وزوجك لفترة طويلة، ولن يتحقق بينهما أي وفاق قبل أن يتوقف كل منهما عن كراهية الآخر لأسباب لا يمكن أن تتغير.»

بعد يومين عندما أحضرت السنجور إدواردز إلى بيتنا روى له كارلوس قصة بالتفصيل من جهة نظره، وأبلغه بأن رحيلك عن أرض مندوزا سيحل

أمرأة بلا مخالب

الكثير من المشكلات.

ونظرت إيزابيلا إلى ليان نظرة تشاؤمها فيها أن تنقذها وهي تضيف قائلة:

«أرجوك ألا تعكسي على كارلوس بقسوة، إذ يشعر بأن السيور إدواردز يدير اليك واعتقد أنك ربما تتجاولين معه بعض الشيء».

وأدركت ليان في سخرية أنها تستحق ما جرى لها فقد أخطأت في تقدير مسقط فطنة كارلوس، وهضمت كيف أن اقتراح كارلوس أثر في تصرفات غرام على هذا النحو، وزدت على إيزابيلا قائلة:

«لن أحكم على كارلوس بالمرء، ولست في وضع يسمح لي بأن أصدر حكمي على أحد».

وابتسمت إيزابيلا وهي تسألها:

«نظن هذا لأنك تزوجت من ريكاردو بدون إعطاء نفسك الوقت الكافي لمعرفة من الداخل؟ قيل أن الزم لا يمكنه أن يعرف شخصاً آخر إلا إذا عاشه بقسط طويل». وكارلوس مازال غريباً عني من جهة نواحي، إلا أننا نؤازر قريباً من بعضنا البعض في بطن لأننا نريد ذلك وهناك أشياء يفعلها ولا تلقى رضا مني ولا أستطيع أن أنسأح فيها وهذا ما يجده هو أيضاً بالنسبة إلى الزواج يعني ضيق ما يعنيه أن يتعلم كل من الطرفين قسيل أخطاء الطرف الآخر بأنه من السهل تفويضها».

ومضت إيزابيلا قائلة في بطن:

«عرفت ريكاردو لعدة سنوات وكان رجلاً يصعب الوصول إلى قرارة نفسه وأرجو أن تسامحتي لأنني اعتقدت أنك لم تبذل جهداً كافياً للوصول إلى ذات نفسك».

فأومأت ليان برأسها وهي تسألها:

«وهل تعرفين لماذا تزوجتني؟»

«عرفت سبب زواجك منه بسرعة، ولكن إذا كان كل ما يريد هو الوقت بشرط».

امرأة بلا مقالب

الوحية فلماذا انتظر حتى أصبح الوقت متأخراً جداً؟

كانت هناك الكثيرات تفوق كل منهن لأن تصبح منسوزاً متدوراً. وقالت ليان لنفسها أن هؤلاء لم يكن يردن الزواج منه لفترة محدودة كما هو الأمر في تلك النواحي.

وأصبحت إيزابيلا بأنها أطالت الكلام في أمور تخص ليان وريكاردو فطلبت منها المَعذرة، فردت عليها ليان بأنه لا داعي للاعتذار وأن كل ما في الأمر أن لكل منهما وجهة نظر مختلفة، وسألتها ليان عن كيفية استئصال كارلوس للخراف التي فعلها ريكاردو فأجابته بأنه كان لذلك وضع سيء عليه. أما والدتها ريجنا فقد وجه اللوم إلى كارلوس لأنه سمح للخراف بأن يعمروا في أرض منسوزا. وهو يعتقد أن ريكاردو له الحق في الاستحواذ على سبعة منسوزا.

وعندما سألتها ليان إذا كانت ترى هذا الرأي أجابته بأنه يجب على جرين أن ينسب المصائب وأن يمنع كل منهما بما لديه وأنها ستحاول إقناعها بهذا على أن تفعل هي أيضا الشيء نفسه مع زوجها. واستأذنت إيزابيلا في الانصراف لأنها لا تريد أن يعرف كارلوس بأمر هذه الزيارة. وقالت لها أنها تأمل في أن يأتي يوم تصبحان فيه صديقتين حميمتين.

وحان وقت طعام العشاء فتناولت ليان طعامها مع ريكاردو بينما أن جرين لم تأكل، وأمرت أنه لا فائدة من مقاومتها. ووجدت أن من الأفضل لها أن تخلص عينيها وتفكر في الكثيرات مثلها كانت تفعل النساء في العصر الفكتوري نساً يراجهن مثل هذا الموقف. ولكنها تداركت أمرها وأخذت تعذب نفسها صبراً فالأمر ليس هزلاً. وأمسكت بكأس الشراب ففرغتها في جوفها في حين أخذ ريكاردو يحدق فيها ووقف ومكب لها كأساً أخرى. وخامرتها فكرة أن تنقب بمكب الكأس على الأرض. فما الذي يمكنه أن يحدث إذا؟ ريكاردو لا يمكنه أن يفعل لها أسوأ مما فعله. وتهض ريكاردو وأدار إسطوانة من الموسيقى

الكلاسيكية فسألت عن اسم تلك القطعة الموسيقية فقال لها إنها تدعى «
مراعي آسيا الوسطى» من تأليف بورودين. وسألتها إذا كانت تفضل موسيقى
خفيفة. ولكنها قالت إنها تحب تلك الموسيقى فهي تحرك المشاعر فقال لها إن هذا
هو الهدف من تلك القطعة الموسيقية فهي تجعل المرء يحس يدي تعباً المزاج
وفقره. وبالتالي يشعر بالصفة التي بين يديه.

وفي الساعة الحادية عشرة أدركت أن أياً منها لا بد وأن يبدأ في الانصراف
فأخبرته بأنها ذاهبة إلى النوم. ولكن لم يبد عليه أي رد فعل واستمر في الشرب
فصعدت إلى غرفتها وهي قلقة ومتوترة وتتوقع دخوله غرفتها بين لحظة وأخرى
وأخيراً سمعت وقع قدميه وهو يتر أمام غرفتها متجهاً إلى غرفته. وبمرت ساعات
تأكدت بعدها أنه لن يحضر إليها. وبعد ساعتين آخرين استسلمت إلى النوم
وبحلال فترات من حياتها لم تستطع نسيان تلك الساعات التي أمضتها بلا نوم
وفي ثورتي وقلقي شديدين.

ويبدو أنه لم يعد في عجلة من أمره وهو يتوقع أن تصدر منها هي أولاً
مبادرة في هذا الشأن. وبدأ يعاملها في فترات من هذه الناحية. ولكن النظر
سيطول لأن أفضل سلاح في يديها هو التصرف مع يفنور وبلا مبالاة.
ولاحظت أليان تحسن معاملته لينيز لها بعدما بدأت هي نفسها تمارس غيرة
معها كمسيرة للبيت. وأخذت أليان تفكر في جذية في ممارسة حياتها وواجبات
المنزلية حتى ولو كان ذلك سيمنحها بعضاً من الراحة.

وذا كانت ساءت حالها ريكاردو أن اليوم يرتاد من يوم لآخر وأنه يجب
التصجيل بقياسها بالرحلة التي سبق أن قرر القيام بها إلى سلسلة تلال سييرا
فرديت عليه أليان بأنها شغرت رأياً ولم تعد ترغب في القيام بتلك الرحلة فقام
لها أنه هو نفسه لم يفنور رأيه وسوف يقوم بالرحلة صباح غد ويضرب
خيمتها هناك لمدة لياليتين. وأخاف بصوت رقيق:

«اعتدت ركوب الغيل وبممكنك قضاء أيام فوق ظهر الحصان بدون أن يسبب لك
ذلك أي عناء»

امرأة بلا مخالب

يصل ستقوم بكل الرحلة على ظهر الخيل؟

سأني أن أخبرك بأن هناك أماكن كثيرة لا يمكن للسيارة أن تمر فيها،

وحتى فيها يضع لحظات ثم أضاف:

«الآنضل لي ذلك أن نبتعد لبعض الوقت عن أرض مندوزة».

فردت عليه بلهجة تحمل معنى الاصرار:

«هذا لن يغير شيئاً من حقيقة مشاعري».

أنتي كقول بأن أحدث تغييراً في مشاعرك، وعندما تصودين من تلال سييرا

سكونين امرأة أخرى متخصصة في فن ارضاء الرجل ولن تقومي بعد ذلك بالنارة

نظري الشديدة.

فيتركك أن تقوم الحصان الى الماء ولكن...»

هذا يتوقف على مدى شعوره بالعطش. ان أمثالك الانكليزية ليس لها أي تأثير

هذا، ولا أريد لاني أن يولد في البحر السائد بيننا الآن».

ولم تستطع أن تغشي التيرة المشككة وهي تقول له:

«فترض أنني أنجبت بنتاً، فإنا سنفعل ان شاء الله».

فهو كتفبه بلا اكترات وقال لها:

«الاحتمال ضئيل، فعائلة مندوزا اعتادت منذ القدم أن تنجب ذكوراً أكثر من

الاناث».

«سوف أذكرك بهذا في حينه».

«لماذا؟ لأن تذكريني بأي شيء... ولو حدث وأنجبت بنتاً نسوف نحاول مرة

أخرى، أليس كذلك؟»

«لنألت في تعدي».

«سيتم هذا في بروه مثلاً حدث في المرات السابقة».

«رفع حاجبه وهو يقول لها:

«انصتي الآن. أنتي تست من ذوي الدم البارد ولهذا فأنتي أصغر على الا تكونتي

أنت من ذوي الدم البارد».

امراة بلا مقالب

وتناداها وهو مستلق على إحدى الأرائك قائلا:

«تعالى إلى الآن وفورا.»

فقال في تشدد:

«كلا له»

فقال لها في حدة وبدون أن يرفع صوته:

«أريد مني أن أجرك على الحضور... تعالى فوراً»

ولم تكن هناك فائدة من تهديده، وهو يستمتع على ما يبدو بانخضاعها لشخصيته، فسارت نحوه وجت على ركبتيها بجوار الأريكة وعيناها يشع منها بريق التحدي وسألته إذا كان هذا يكفي أم يجب أن تضع رأسها تحت قدميه فوضع كفيه على رجليها وجذبها نحوه قائلاً:

«انا لا اتوي إخضاعك، أما إذا كانت تطلعين إلى قيامي بإخضاعك بالقوة...»

فقال ونشأت عليها بسرعة:

«كلا... لا تفعل.»

وشدد قبضته عليها قائلاً:

«قولي: أرجوك، قولي تلك الكلمة التي نادوا ماتقراينيسه قولي أرجوك

ياريكاردو، وعندئذ سأفكر فيما إذا كنت أستجيب لأرجائك.»

وأدركت أنه لا تكاد لها منه قالت له:

«أرجوك له»

فتركها عندئذ تفلت من بين يديه وهو يضحك وسألها إذا كان يسبب لها كل

هذا الخوف، وصمت قليلاً ثم قال لها في رقة:

«سوف تقولين لي أرجوك فيما بعد لسبب آخر ففي ليلة الفد سترقد معاً تحت

النجوم، ولن تفورني ضدي لعدم وجود رغبة لك في ذلك، وهذا وعد يمكنك أن

تفكري فيه وأنت تأوين الليلة إلى فراشك.»

ووقف وخسها إلى صدره وهو ينظر إلى عينيها الخضراوين وتركها تتصرف

قائلاً:

«سبي واسترجعي، فأنت في حاجة للراحة استعداداً لرحلة الفد»

«ولدت ليان وهي تتركها أنها في حاجة إلى المزيد من الراحة فعلاً، وفي حاجة

في كل قوة من قوة الإرادة لتقاوم أي محاولات من جانبك لكسب عواطفها.

www.rewity.com

كانت بعيدة منك من قبل.

وأم يعقوب على هذه اللقطة الساخرة ولكنه قال لها:

«لقد هنا في الماضي، ولكنك لن تظني أن تعني كل هذا»

وحدث اللجام في توترها جعل روجو يهر رأسه إلى أعلى وقالت له بانفعال:

«لن أنسى أبداً، لأنه لا فرق بين هذه الليلة وأية ليلة أخرى ولن أني اليك أبداً»

ورغيتي يا ريكاردو!

فأبسم في تباطؤ وقال لها:

«اليوم سيكون طويلاً ولن تنبقي لك قوة لمقاومتني...»

فجعل هذا هو السبب الذي جعلك تصبحيني معك كل هذه المسافة على ظهر

حصانه

«نحن ذاهبون إلى تلال سييرا لأنك سبق أن أعربت عن رغبتك في زيارتها»

«كل ما في الأمر أنك تريد لدخال السرور إلى نفسي»

فصاح بالفرح من غيبته ولكنه سيطر على نفسه بسرعة وقال لها:

«لن تدرني غيبي بكلامك، فقد فعلت ذلك كثيراً في الماضي أما هذه المرة

فستواجهين عواطفك الحقيقية وأنت مجزأة من هذا السلاح الدفاعي»

وتساءلت: «ليان بيننا وبين أنفسنا عن حقيقة عواطفها، فهي تريد أن تعرفها»

قد تقول لنفسها أنها تكرمه ولكن هذا جزء فقط من عواطفها، إنه صادق في

كلامه ولكنها تريد أن تعرف مدى عمق المشاعر التي تحاول تغطيتها وإخفاءها»

وقالت لنفسها أنها لو أنجبت طفلاً لريكاردو فتصبح ملزمة بالبقاء معه في

مطلق الحالات، وربما تكون قد حملت فعلاً بهذا الطفل رغم أنها ابتعدت إلى

السياء ألا يحدث هذا، فأخجل بدون حب أمر كريمة.

وأدركت ليان أن الصراع انتهى، وأضفى عليها هذا الاحساس نوعاً من

الشعور بالسكينة. فما دامت قد ارتبطت بهذا الزواج عليها إذا أن تجعل منه

زواجاً مؤقفاً بقدر ما تستطيع. وريكاردو قد يحبها، ولكنه يحتاج إليها ولو كأم

لطفه على الأكل. ومن هذه البدايات ربما تستطيع بناء شيء يستحق كل هذا

١٠ - سقوط السيد

غادرا المنزل في الصباح والشمس تملأ المكان وقد تأخرا بعض الشيء بسبب

المشكلات التي أثارها في اللحظات الأخيرة مديرو الأقسام في المزرعة وأخذ

حصانها يتدلل كالطفل ويقترب من حصان ريكاردو وعندما أمرها ريكاردو

بأن ترفعها على الاعتدال في سيره قالت له أنه لا يطيعها، فقال لها إن سبب ذلك

أنها لا تتبع الحزم معه، وأضاف إن الفيلان يستجيب بسرعة للتوجيه.

وقبضت ليان من حركة شفتيه أنه يقصد المرأة أيضاً، ونظرت إلى يديه وفيها

تعبها في قوة على اللجام وأحسب بأنه يعامل الحصان أحياها بأفضل مما يعاملها

هي. ولكنها أدركت أن هذا الاحساس يقصر إلى الانصاف لأن ما عاينت منه على

يديه سمعت إليه بنفسها.

ورأت الخيبة التي جعلها دياطلو حصان ريكاردو ولكن هذه الخيبة لن

تستخدم إلا في حالة هطول المطر، لأنها، كما قال ريكاردو، سيتأمان تحت

النجوم. ولهذا أحضر معه الملابس اللازمة، وإذا احتاجا إلى مزيد من الدفء

فسوف يكتسبه كل منهما من الآخر.

وسألته عن الوقت المتبقي للوصول إلى تلك التلال فقال لها ربما خمس أو ست

ساعات إذا سارا بتوحد، وأنه لا داعي للاسراع فودت عليه في جفاف:

«كلا ليس هناك ما يدعو بالمرّة لذلك»

ولاحظت أنه ينظر إليها في مكر ثم سأله:

«ألا تفكرين أنك متصبحين وحيدة معي الليلة؟»

وفي الواحدة بعد الظهر توفلا لتناول طعام الغذاء ولاحتساء القهوة التي صنعها فوكي موقد غاز نظراً لعدم وجود عشب جاف في تلك المنطقة، وسألها ريكاردو وهي تنظر إلى الطبيعة من حولها حيث أصبحت التلال الصخرية قريبة الآن والسماء تتناثر فيها السحب والسحب ترعى فيه الماشية.

«هل ما زلت تشعرين بكراهية نحو هذا المكان؟»

«أنتي اتعوده شيئاً فشيئاً وهذا يتطلب بعض الوقت.»

«ألا يحدث هذا بالنسبة إلى كل شيء، ربما كان ادراك ذلك هو نصف المعركة.»

ولاحظت ليان أن نطقه للعبارة الانكليزية تحسن، فأبلغته ذلك، فقال لها أن نطقها هي أيضاً للأسبانية تحسن وخصوصاً أنها أصبحت تعرف اللهجة المحلية ولعل خوانينا ساعدتها في هذا. وعندما سألتها إذا كان ثمة ما يحول دون انتمائها أية علاقة شخصية مع المخدم أجابها بأنه لا يرى ما يحول دون انتمائها أية صداقة بينها وبين خوانينا بشرط ألا تشجعها على التذمر من وضعها في الحياة. وأخذ يحدثها عن تاريخ أسرة مندوزا التي ترجع إلى بيرو وهي مندوزا أول من أنشأ المستوطنة التي أصبحت لها بعد برونس أيريس. وعندما لاحظت ليان أن مؤسس أسرة مندوزا الأرجنتينية هو من الغزاة الأسبان، قال لها ريكاردو إن هذا صحيح تماماً مثلما فعل الإنكليز باستعمارهم الكثير من الأراضي. من أجل الاستيلاء على الأرض والسلطة والثروة. وأطرق هنيهة وقد توترت نظراته ثم قال:

«والنساء أيضاً... وبدون امرأة كنت أنا نفسي سأفقد اثنين من الأشياء الثلاثة الأخرى التي ذكرتها.»

وطلب منها ريكاردو مواصلة الرحلة فوصلا إلى التلال بينما تسارف الظهيرة على الانتهاء. وتقدم ريكاردو وسط الصخور وليان خلفه بحصانها. ومع مغيب الشمس استطاع ريكاردو أن يشر على مأوى بيتشان فيه وسط جيوفك صنعته الصخور. ولم تكن هناك حاجة لتصب الخيمة إذ لم

يخطر الجوع عاصفاً، ورغم ذلك انشغل ريكاردو بتصب الخيمة واعداد الفراش داخلها في حين انتهكت ليان في شواء شرائح اللحوم واعداد طعام العشاء على النار التي خففت من وحشة الليل.

وتحسنت ليان النظر إلى وجه ريكاردو عندما جاء لأنها لا تريد التفكير فيما سيحدث الليلة وفضلت أن تتذكر كل شيء لوقت.

وبعد انتهاء تناول العشاء أشعل ريكاردو النار من جديد واستلقى على ظهره وقد وضع كفيه تحت رأسه وسألها إذا كانت تزعج من لمس يديه. فهزت رأسها في سخرية. وعندما قال لها إنه يستطيع اخضاعها بالقوة إذا اضطر إلى هذا أجابه بأنه لا يحتاج إلى استخدام القوة لأنها ستؤذي واجبها نحوه، فسألها في حيرة:

«أي واجب؟»

«أليس هذا هو ما تسعى إليه؟ زوجة وديعة مستسلمة تفلت شروط عقد الزواج بكر حادقيرد.»

فرد عليها بعد لحظة:

«أفضل مقاومتك لي من جديد.»

«لأنني أفعل هذا.»

فقال لها وقد اغتبط فجأة:

«نعمت قصدك، إنك تأملين من خلال النظائر بالهذو أن ينتزاهامي، ولكن هذا لن يستمر وأستطيع أن أؤكد لك...»

«لا تكن واثقاً إلى هذا الحد.»

«بلى أنا واثق ومتأكد، وسوف ترضخين لا لأن هذا واجبك ولكن لأنك أنتي تريدينه.»

فدبت عليه بصوت منخفض:

«من أجل وريث لأرض مندوزا.»

فاعتدل واثقاً على أحد مرفقيه وقال:

«كلا، فأنا أريدك يا ليان» وقد أردت منذ الليلة الأولى التي التقينا فيها، ولكن المرء لا يمكنه أن يظهر بكل شيء، إذ كانت أمامي أولويات أخرى في ذلك الحين ذات أهمية أكبر كما اعتقدت. ولم أكن أطلع إلا على الوفاء بشروط وصية أبي».

وعندما ذكرته أنه وعدنا بتجسسها جريتها بعد تنفيذ الوصية ذكرها هو أيضاً أنها وعدائه بأن تكون مخلصة، وأنه سبق لها أن ناقشنا هذا الأمر من قبل. وأحاطت ليان زكيتها بذراعها وهي تحديق في اللهب بتركيز وسأته قائلة: «لم تسألني من قبل عما أشعر به نحو غرات».

«لا ضرورة لذلك فقد استخدمته كوسيلة للهروب من وضع لا تستطيعين التكيف معه، وهو بالنسبة إليك لا يمثل أكثر من هذا».

«فهمت قصدك، إذا فهو الطرف البريء».

«ليس هذا ما أقصده، وأنت تعلمين هذا، ولو أنني اعتقدت أنه هو المسؤول عن كل هذا لما تركته يفلت بسهولة، لقد خان كل منكما نفسي فود».

«أنت متحدث بارع ولكنك اعترف بأنك فرت تغيير شروط اتفاقنا حتى قيل أن تعرف بأمر ذهاني مع غرات».

«دائماً بذلك تصبح زوجين، وهي بداية صالحة».

وصهيل أحد الحصانين ليرد عليه الحصان الآخر بصهيل مماثل، وسمع صوت أحد الحيوانات عن قرب فقال لها ريكاردو إنه ابن أوى ولن يغترب من النار. ونهض ريكاردو وأحضر بعض العشب ليضعه فوق النار... ثم جلسها وأمسد رأسها إلى صدره ورافقها إلى داخل الحديقة وهو يقول لها في رقة: «هناك الآن امرأة كاملة، امرأة صغيرة، كيف تشعرين».

«قللت في لعبة تهكمية قلت ألا يحس بها».

«هذا رائع، إنك عاشق ممتاز يا ريكاردو».

«فرد عليها في سخرية:

«أشكرك، إنه شيء سار أن يعرف المرء من يقدر جهده».

«لقد أتيت اليه وهي تحاول عبثاً أن تنفهم ما يحدث، من أحاسيس في عينيه وقالت: «هل تنقل أن أقول لك بدلاً من ذلك إنني أحبك»؟

«فرد عليها دون أن تتغير تعبيراته:

«جاء هذا صحيح».

«قصت لحظة ثم قالت له وهي تهز رأسها:

«كلا».

«حق لا فائدة من قولك، كما أنه غير مفيد لو قللتها أنالك».

«وتجيب اليه وهو يقول لها:

«دائماً ببساطة سنستفيد استفادة أكبر مما نحن عليه، فها زنا في أول الليل».

«استيقظت في الصباح عندما رفع ذراعه عنها وقام لتغيير ملابسه وأخذت زجاجة حلبة وعندما لاحظ ذلك رفع حاجبيه في مكر. وسمعت صوت الحصانين يصرخان ويتحركان في تلقى. وقال لها ريكاردو إنه ذهب لاشعال النار بسداد طعام الاقطار وأنه لا داعي لمخاوفها القوارص وسرف يدورها عندما ينسى من هذا. وكانت ليان في شوق شديد لأن يقبلها قبلة الصباح مثلها يفعل الأزواج مع زوجاتهم ولكنه لم يفعل».

«وأحست برغبتها في الاغتسال فقامت وسألت ريكاردو إذا كانت هناك كمية كافية من الماء العذب للاغتسال فقال لها أنه توجد بركة وسط الصخور القريبة، ولكن عليها إحصار شيء لتثبيت شعرها ورفعها إلى أعلى لتلا بيشل، فلما أعربت عن دهشتها قال لها إن ماء البركة عميق، وسألها إذا كانت تعرف السباحة فأجابته، وهي مازالت تظن أنه يداعبها بأنها تعيد السباحة ولكنها لم تحضر لباس الاستحمام، فضحك وقال لها:

«وهل هذا أهمية، لم تكن عيناك مغلفتين ليلة أمس».

«الوضع مختلف».

«وبدا يتحرك نحو البركة وهو يقول لها:

«انا سعيد لأنك تفكرين بهذا الأسلوب» هيا تعالى»

توقفت مكانها متجاهلة كلامه وهي تنتظر منه أن ينظر اليها وقالت له:

«ريكاردو هل تحاول اذلالى؟»

«اذ لالك ا كان يجب فعلاً أن أنصرف لاذلالك... هل ما زلت غير ناضجة الى الحد

الذي يجعلك تحتاجين الى التستر بالظلام قبل أن نكتفي عن نفسك لي؟»

فردت عليه في غضب:

«الأمر لا علاقة له بالتستر، فمن حقى أن أنفرد بنفسى وقتاً أشاء»

«لا حق لك إلا ما قبلت أنا أن أمحك اياه، متى تفهمين ذلك؟ فأنت زوجتى

التي أملاكها، وعليك أن تعلمي ما أطلبه منك، هيا اذهبي وخذي حمامك وحدك

إن أردت أيتها المحشمة الصغيرة، ما زال أمامك ان تعرفي الكثير عن العلاقة

بين الزوج وزوجته»

وأخذت حمامها في البركة التي كانت مياهها باردة وعميقة وعادت الى

ريكاردو وهو يصلى فيها بسخرية ووجدته طين الذرق، ولم ينطق بكلمة

والما أخذ المنشفة وضرب يستحم ولما عاد كانت قد أعدت له طعاماً خفيفاً من

الببيض وسألته وهو يأكل:

«الى أين ستذهب اليوم؟»

فهز كتفيه في استخفاف وهو يقول:

«ربما نعود الى أرض مندوزا»

فتطردت اليه في تساؤل ودعشة وقالت:

«ولكننى اذكر أنك قلت ستبضي يومين على الأقل»

فتقابلت عيناها مع عينيها بدون أن يتسهم وقال:

«لا فرق بين البقاء هنا والعودة الى مندوزا» ولن أحتمل بعد الآن أسلوب

الاستهجان الصياني الذي تتبعينه»

فحاولت ليان الالتزام بالهدوء وهي تقول له:

«أقول استهجان، لأننى رفضت أن أستحم معك»

«لكن أن هذا هو كل ما في الأمر؟ أعتقدين أن كل ما يعنى هو أن أضحك في

حرفك مهين حتى أستمتع بضايقتك؟»

«ربك طين الببيض في غضب بدون أن يكمل كلامه وقال: «هل خطر في بالك

أن كان في استطاعتى أن أصل الى هذا الهدف بسهولة من خلال استغلال

ضعفك كشرعية لأرغامك على تنفيذ ما أطلبه منك؟»

فبهرت رأسها وقالت له في ألم:

«لست الفهم، فأنا لم أستهجن قولك، وأنا كنت في حرج»

فابتسم ابتسامة تفتقر الى روح المرح وقال:

«ولكنك لم تكوني مخرجة عندما أخاطبك بين ذراعى...»

فقاطعته ليان وقد اخذ خداهما وقالت:

«ريكاردو، ما هذا باتصافاً؟»

«تصدقين أنه ليس بالوضع السليم، وأنت تشعرين بالذنب، ولكنك تخولين

نفسك بأنه لم يكن أمامك خيار حتى يستريح ضيقك، ولهذا فأتفكي يصبح

زوجك زوجاً فعلياً لن أتيج لك حق الاختيار في أي شيء، وأنا اليوم لأننى لم

أفعل هذا من قبل، ولهذا ما سيحدث من الآن فصاعداً»

«الأمر لن يختلف بالمرة عن الوضع الذي نحن فيه»

«أعتقدين ذلك؟ سأثبت لك أن هناك اختلافاً، هيا أعدي حاضيتك فسوف نعود

الى أرض مندوزا»

ولم ينطق أى منهما بكلمة أثناء طي الخيمة وربطها ووضع السرجين على

الحصانين، وساعدها في التفريق روجوفز هو فوق ديابلو واتجه في طريق

العودة، ولما منتصف المسافة الى المزرعة عندما وقع الحادث الذي تسبب فيه

روجو، فبينا هما يصعدان بالحصانين مكاناً مرتفعاً ففز روجو محاولاً أن

يسبق ديابلو فاصطدم صدره بمؤخرة ديابلو الذي مال الى الخلف وسقط فوق

ريكاردو عن ظهره وارطم رأسه بأحد الصخور، فسارعت ليان بتوجيه

روجو بعيداً عن ريكاردو ونزلت جاثية على ركبتها بجوار ريكاردو

الذي أخذ الألم يترقب من رأسه وهو لا يبدي حراكاً. كان يتنفس ولكنه ناله الوعي، وحال وجهه إلى الاصفران.

وبدأت ليان تمالك نفسها لكن تشبكت من التصرف والجلد، فالاستسلام للغرور والذعر لن يفيد. وكان أول ما يجب عليها أن تفعله هو وقف تزيف الدم. وأحضرت إحدى زجاجات الماء التي كان يحملها روجو، ومزقت إحدى القمصان وبليت قطعة قماش بالماء التنظيف وأخذت تنظف في حفة المنطقة المحيطة بالجرح ثم ضمدته بقطع أخرى من القماش.

وعندما انتهت كانت شفتاها ترتعدان ورأت أنه من غير المناسب بقلوه مع تلك الإصابة تحت الشمس، فاستخدمت كل قواها لجزه إلى ظل صخرة، وهي لا تدري كيف تمكنت من تحريك جسده الضخم على هذا النحو. ولم يكن أمامها ما تفعله بعد ذلك سوى أن تجلس إلى جواره وهي تبتهل إلى الله أن يكتب له الحياة وتنت لو كان بالقرب منها أحد يمكن أن تستغيث به فهي لا تعرف كثيراً عن سمات الإصابات.

وبعد مضي ساعة بدأ ريكاردو يفتح عينيه في أعياه إلى أن تمكن من تمييز وجه ليان. فوله وهي تنظر إليه في قلق شديد وسألها عما حدث وهو يطلق خرووف الكلمات بصوت متقطعة سببت لها مزيداً من القلق والأسى، وأجابته بأن دبابلو سقط فوقه عن ظهره وارطم رأسه بصخرة. وطلبت منه ألا يحاول الكلام فقد يكون جرحه خطيراً. وسألها متى حدث ذلك فأجابته بأنه حدث منذ حوال أربعين دقيقة وأنه قد يكون مصاباً بإرتجاج في المخ ويجب عليه ألا يتحرك. لكنه قال لها يجب أن يتحرك ويقادر هذا المكان واستد على ذراعه حتى تمكن من الجلوس ولكنه أغضى عينيه وأوشك أن يفقد وعيه من جديد، وعندما فتح عينيه قال لها وهو يتنسم ابتسامة ياهته إنه على خطأ والحركة تبدو صعبة بالنسبة إليه وسألها إذا كان الحصانان فربين فزعت عليه وهي تحاول أن تعبس دموعها وتشعر بقلق شديد عليه:

«ليساً بعيدين».

تنظر لها وهو يحاول عبثاً أن يتحدث معها بطريقة المعهودة في الأمر والنهي: «لا تحضريها فعندما أمطى صهوة الجواد سأتمكن من التحكم فيه»
«ريكارديو» أرجوك لا تفعل، لن تستطيع ركوب الخيل وأنت على هذه الحالة»
تنظر إليها نظرة طويلة ثم ضاقت عيناه من الألم وهو يقول:
«ليس هناك بديل».

«هناك بديل، أستطيع أن أذهب بالحصان طلباً للتجدة وسأترك لك ماء وطعاماً يبقى كما أنت في الظل وسأعود إليك مع التجدة قبل حلول الظلام»
فأسك يدها ووضعها على صدره قائلاً:

«لا بد إذاً أن تطلعي كالريح لتصل إلى الأستانسيا، كلا يا ليان لن أسبح بهذا، فليست لديك الخبرة للقيام بهذه الرحلة على ظهر الحصان»
فدوت عليه في اصرار:

«ليس هناك بديل، ولا يمكنك منعي فليست في حالة يمكنك من منعي»
«أنت تريد أن تستغل هذا الموقف»
«نعم، إذا كنت مضطرة إلى هذا»

واستسلمت وقالت:

«من أجلك أنت».

فرد عليها في جد:

«جل من أجلك أنت، فبعد وقت قصير سأصبح قادراً على ركوب الحصان، أنتي أستمع من الذهاب».

وبدأت قواه تتحور حتى لم يعد يستطيع أن يمسك بيدها لتسحبها عن صدره وهي تقول له:

«أسفة يا ريكاردو، لا أريد أن أتركك، ولكنني مضطرة».

وعندما ذهبت إلى موقع الحصانين وجدت حصانها روجو مصاباً في ساقه اليسرى، لا يمكنه من العدو بسرعة، ولا مفر أمامها إذاً من أن تقتطي صهوة دبابلو، وأخذت معها الملاءات وعادت بها إلى ريكاردو الذي كان مغض

العينين ووجهه كالميت. وقالت له إن تلك الملامات ستساعد على الشعور بالراحة. فقال لها إنه عندما يحاول الوقوف تسوء الدنيا أمامه. وطلب منها ألا تسرع في طريقها وهي على ظهر زوجها الذي يعتبر حصاناً متزناً. ولكنها لم تنبأ أن تبلغه بأنها ستركب ديابلو. وسألته إذا كان يحتاج إلى أي شيء آخر فقال لها أنه يحتاج إلى الصبر الذي يستطيع أن يوفره لنفسه. وطلب منها أن تلتزم بجانب الخدر وألا ترجع بالسيارة وعليها فقط أن تبلغ خوميه بالموقع حيث هو. واتجهت نحو الحصان ديابلو والتفتت أنفاسها قبل أن تسك بلجسه. وتوجهت نحو صخرة قريبة لكي تصعد فوقها وتمطي صهوته. وأخذ يتحرك بعصبية خشيت معها أن تسقط من فوقه وأخذت تستجبه على التلطم لكنه ظل متوقفاً. ثم تحرك فجأة بقوة طشت معها أنها لن تقدر على التحكم فيه ولا عظمت في الوقت نفسه. أن ديابلو يبذل كل جهده لاستئطافها عن ظهره. لن تذهب إلى مزرعة مندوزا. وهذا ما قررت منذ البداية. لكنها ذاهبة إلى مزرعة ريخا التي تعد أقرب بعدة أميال.

١١ - كراهية لاتقهر

لم تسقط ليان عن ظهر الحصان ديابلو رغم أنه كان يتصرف معها بخشونة وهو يتحرك بكل نشاط وحيوية. ومع التقدم في الطريق بدأت قوته تضعف. ولما مكثها من التحكم فيه عن جديد ووصلت أخيراً إلى منزل ريخا وسط دقشة الجسيم. وأسمرت ايزابيلا وكارلوس نحوها عندما شاهداهما. أصبحت هنا ايزابيلا وهي تنبأ في دقشة:

«سأفقد حدي. ولذا فقط ديابلو».

«ريكاردو مصاب وسط التلال».

وعندما لاحظت كيف استقبل كارلوس كلامها في بزود ولسوء. أخذت دقائق قليلة تسرع. وأخذت تتوجه إليه بالرجاء لانقاذ ريكاردو فقد يكون أصيب بشرخ في الجمجمة وقد يموت. فرد عليها كارلوس بدون أن تتغير صلاحه الفظة وقال:

«إذا مات فسوف تؤول المزرعة اليك».

فقال له وهي تحاول اخراجه من حالة اللاعبالاة هذه:

«لا أريد المزرعة بدون أخيك. إنه زوجي ياكارلوس وأنا أخيه كما تحبك ايزابيلا».

واعترفت ليان بينها وبين نفسها بأنها فعلاً تحبه رغم أنفها ورغم الأسباب المعروفة. وهي لن تتركه يموت. لمجرد أن هذا الرجل المائل أمامها يكرهه إلى درجة

لم تكن تصورها من قبل. وصاحت فيه بالفعال:

«يجب أن تلوما اياكما لا أن يلوم كل منكما الآخر. لا يمكنك أن تترك ريكاردو هناك، مضرراً بدمائه، لن أسمح لك بهذا».

نصاحت ايزابيلا في كارلوس. وهي تنصب عرقاً وتهز فراعته كي يجب الانتفاة أخيه. وبعد تبادل النظرات قال كارلوس:

«سأقوم بإعداد سيارة، وسوف نحتاج الى حشية وبعض الخدمات لفرضها في مؤخرة السيارة».

وعندئذ أخذت ايزابيلا تشكره وهي تربت على صدره بيدها وعيناها مغروقتان بالدموع، وطلبت من ليان أن تستريح وقالت لها إنه سيتم العناية بأمر ديبالو. وأسلمت ليان لجام الحصان الى أحد الخدم وسارعت بقولها:

«سأعود بالسيارة».

فودت عليها ايزابيلا:

«من تستطيعي العودة بعدما كنت بتلك الرحلة الطويلة، قل لها ياكارلوس ألا تذهب».

فاينضم كارلوس في سخرية وقال:

«إنها زوجة ريكاردو وليست زوجتي».

وشكرته ليان في رقة ولكنه قال لها في جفاف: إنه يفعل ذلك فقط لأنها هي وزوجته طلبتا منه ذلك، وأن ريكاردو نفسه لن يشكرها لأنها حضرت الى هنا.

وقالت لها ايزابيلا، عندما أنصرف زوجها لتفقد السيارة، إن هذا صحيح، فكل من الآخرين ينضم بالتصليب والقوة ويفضل الموت على أن يلتزم بشيء مجاد أخيه. وطلبت منها أن تساعدها في إعداد حشية وبعض المخبرات لتوفير الراحة لزوجها وهو في طريق العودة. وقالت لها إن الرحلة ستكون طويلة لأنه يجب العودة ببطء إن كانت متأكدة من أنه أصيب طفلاً بشرخ في الجمجمة وهو ما تأمل ألا يكون صحيحاً، فودت عليها ليان بأنها لم تمنح في حياتها أن تكون محظنة في شيء مثلاً تمنى ذلك الآن.

ورغم أن ليان كانت مجعدة وتثعر بألم شديد في ساقها كلها حركتها بسبب احتكاك السرج بها مع عبو ديبالو السريع، فإنها لم تشأ أن تقول ذلك لايزابيلا. و إلا منعها من العودة الى اللال. وعندما طالت فترة اعداد السيارة بدأت الشكوك تساور ليان في أن كارلوس غير جاد في اعتزامه الذهاب لتجدة ريكاردو، فجأة سمعت صوت السيارة تنطلق بدونها فصرخت بدون، جنوى ودارت نحو الطريق الذي سبلكه السيارة، ولما رآها كارلوس طلب من السائق التوقف فقفزت ليان فوق الحشية الموضوعة في المؤخرة وهي تنظر الى كارلوس في تحد.

قطعت السيارة المسافة من مزرعة ريجا الى الموقع الذي يرتقد فيه ريكاردو جريحاً في أقل من ساعة، بينما قطعت ليان تلك المسافة على ظهر الحصان في أربع ساعات. وعندما وصلا الى ريكاردو كان بين الوعي والقياب وضاعته ملطخة بالدم، وامتعض عندما رأى كارلوس وسأله في حدة:

«ما الذي جاء بك الى هنا».

«زوجتك جانيش تطلب المساعدة، ولم تمكشني هي و ايزابيلا من رفض المجيء لمساعدتك».

وجاء كارلوس على ركبيته وهو يتفحص ملامح أخيه، واقتربت ليان من ريكاردو وقالت له:

«أحضرتنا سيارة تنتظر في أسفل الطريق، كارلوس وماثويل سيحملانك اليها».

فاخذت عينا ريكاردو تريقان من جديد وهو ينضم قائلاً:

«كان يجب عليك أن تدعني الى أرض خندوزا، وليس من حقك أن تتحدثني».

«لم يكن لدي وقت، وكانت مزرعة ريجا أقرب إليّ، هذا ما كان جشني، يجب عليك ألا تتكلم، فالزمن المفقود».

فاينضم ونظر الى أخيه وسأله في سخرية:

«ماذا تفعل لو كانت لك امرأة مثلهما».

«أفترها وأصوبها وأجد الله على هذه النعمة، إن ليان على حق إذ يجب ألا تتكلم، فالزم الهدوء الآن حتى نحبلك فوق المحفة».

واستغرق نقله إلى السيارة بعض الوقت في حين تبعها الحصان وروغو وهو يتعامل على قوائم الثلاث بعد أن أصيبت ساقه الرابعة.

ولاحظ ريكاردو ذلك فتنظر إلى ليان وسأله:

«هل استطيت ديابلو؟»

«لم يكن أمامي خيار، فقد أصيبت ساق روغو».

وانتظرت ليان حتى تم نقل ريكاردو إلى السيارة ثم صعدت لتجلس إلى جانبه، في حين أخذ ريكاردو يرقبها وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات مبهمة وقال لها بلهجة مداعبة:

«سأصرف معك عندما أصبح قادراً على ذلك، تعالين أنتي كنتي سأمنعك من انتظار ديابلو».

قادت عذبة وهي تبتسم:

وأعلم أنك ستشعر بالقلق إذا استطاني ديابلو وهذا لم أبلغك بذلك، رأسه مشحون مثل سيد، ولكننا تفاهنا سوياً، ولم أسقط عنه باليد أرجوك أن تكف عن الكلام، ياريكاردو فأنت تحتاج إلى قوتك لتصل رحلة العودة إلى أرض مندوزا».

فمد يده لكي يمسك بيدها وهو يقول لها:

«لن أفعل إلا إذا أعطيتني يدك، وستحدث لها بعد».

وتنهى ريكاردو وأغمض عينيه وهو يسترخي في فراشه.

لم يتحدث كارلوس كثيراً أثناء الطريق، وعندما أصبحت أرض مندوزا على مدى البصر كان الليل قد أضحى أسود، وكان ريكاردو مستغرقاً في النوم، وعندما دخلت السيارة إلى المزرعة، أخذ كل من العاملين فيها يسارع ليكون له شرف المشاركة في انزال المحفة من السيارة ومساعدة سيد.

ولم يمسح ريكاردو عينيه مرة أخرى عندما جلت أبنيز بسرعة، وهي ترفع

عنها في قلق ولحفة وتحدث إليها في حدة بالأسبانية، ويبدو أن النوم ألقاه إذا غدا ثم يسري في وجهه الذي كان شاحباً، وأصبح قادراً على أن يتكلم، على أحد مرارته.

وطلبت ليان من كارلوس أن ينزل من السيارة ولكنه قال لها إن بيت مندوزا لم يعد بيته.

فقالت له في أصرار:

«يمكنك أن تصبح بيتك وبيتنا جميعاً إذا تفاهت أنت وريكاردو».

ولكنه لم يتوخر عن موقفه وقال لها:

«فعلت ما طلبته مني، وريحاً هي حياتي الآن».

وطلب من السائق إدارة محرك السيارة وهو ينظر إلى ليان قائلاً لها:

«لكننا سنرغب ببيتك لزيارة إيزابيلا أن شئت، فهي بحاجة إلى صديقة».

عندما بنشأ ريكاردو:

«ستدركون أن ريكاردو يبدئي المشعر نفسها فيما يتعلق بهذه المسألة، فلا يمكننا أن نكون أصدقاء، بغض النظر عن رغبتك ورغبة زوجتي الأظبي الآن إلى زوجك، فلا بد أنه ينتظرك».

ورحلت السيارة، وصعدت ليان إلى ريكاردو وأخذت تسأله عما يشعر به فأجلبها في تنهد:

«أستطيع الوصول إلى سريري دون أن يجعلني أحد إليه، وكل ما أحتاجه هو أن أختار حياً لاستعيد نشاطي».

«يجب أن لا تفعل هذا، فقد قينا باستدعاء طبيب من مزرعة ريفنا وسيفعل في أية لحظة، عليك أن تزم الهدوء في سريرك إلى أن يحضر الطبيب».

فرمقتها بحدة وهو يقول:

«لا تتوكل في ماذا أفعل وماذا أقعيب، فأنا الذي سأقرر لنفسي».

وتذكرت ليان نصائح إيزابيلا لها عن كيفية معاملة الزوجة للزوج

وبدأت تتخلى عن روح الشجار وتلقزم جانب اللين وردت عليه قائلة:
«حسناً ياريكاردو، أعرف أنك أصبت بارتجاج في المخ».

ووصل الطبيب قادماً من سانتينا، قبل أن يتم نقل ريكاردو إلى السرير
الكبير المزودج في الغرفة التي لم تدخلها ليان من قبل، وكان الطبيب يعرف
ريكاردو جيداً وطلب إعداد الماء الساخن لتضميد الجرح وفحص جسده ثم
قال:

«أعتقد أنه مصاب بارتجاج في المخ، ولا أظن أنه أصيب بشرخ في الجمجمة، يجب
أن يبقى في السرير لمدة أربع وعشرين ساعة على الأقل، وستقرر بعد ذلك
ما يمكن عمله».

ولكن ريكاردو قال إنه مادام لا يوجد شرخ في الجمجمة فلا داعي لبقائه في
السرير، وطلب إعداد الحمام، فوقف الطبيب حائراً وأدرك أن لاجدوى من محاولة
إقناع ريكاردو وترك بعض الأدوية ليتناولها إذا وجد صعوبة في النوم، ثم
انصرف عائداً إلى سانتينا، وقالت ليان لريكاردو:

«سأذهب لأخذ حماماً، هل أنت على مايرام؟»

فقال لها إن حمامه كبير ويتسع لشخصين، وعندما لاحظ أن وجهها احمر لونه،
حاول تطييف الجو وقال لها إنه أسف وتستطيع أن تأخذ حمامها وتغير ملابسها
وترجع إليه لأن لديها الكثير.

وقالت ليان لنفسها إن حبها لريكاردو حبة من طرف واحد إذ يجب أن
يحبها هو الآخر فهي تحمل اسمه وسوف تحمل ابنه يوماً ما، ولكنه إن شعر
نعوها بالعاطفة التي تأكدت أنها تشعر بها الآن نحوه، وقد أكد له ذلك ليلة
أسس بوضوح وعلى نحو يثير الاحساس بالانزعاج.

وعندما ذهبت لتستحم أدركت مدى إتساع الرقعة الملتهبة في ساقها نتيجة
احتكاكها بالسرير فتعاملت على نفسها وغسلتها بالماء الدافئ، وبحلول مظهر
وعادت إلى ريكاردو فوجدته غير ملائمة، وأبدى إعجابه بزيها، فذكرته برغبته
التي أبدتها في أن يتحدث معها، فرد عليها بأنه قال إنها سيحدثان سوياً، وأخذ

نظر إليها كأنه ينتظر شيئاً ما وطلب منها أن تقترب منه وعانقها بحتان وقال لها
في رقة:

«أنت شجاعة وتستمتعين بالحياة أنا ممن لك».

عطفت المارجب الذي تفضله أية زوجة حيال زوجها، هل أنت غاضب لأنني
جئت إلى مزرعة ريجنا؟»

«كنت غاضباً، وأما أشعر ببعض الأسف لأنك جعلتي مدينتي لكارلوس»
«أنا على أن أطلب من إيزابيلا أن تغني جادنا لكارلوس حتى تهيب لانتقاله
لتصبحان متعادلين من جديد».

فتغيرت ملامحه وضاعبت عيناه وقال لها:

«أنت تسخرين مني يا ليان، وإذا كنت أشعر بالامتنان تحرك إلا أنني لا
أسمح لك بالتدخل في أمور لا تخصك».

ورفضت ليان أن تتراجع وقالت له:

«أريد أن تترك الأمور تخصني، فأنا زوجتك ياريكاردو كما أن إيزابيلا
زوجة كارلوس، من أجلها أن لم يكن من أجلي، أرجو أن تدفن هذا النزاع
بينك وبين كارلوس، إذ لم تعد لديه الآن رغبة في الاستحواذ على مزرعة
منبوزا، لقد قال لي هذا».

ومن الطبيعي أن يقول هذا، لأنه يدرك أنه لا توجد أمامه أية فرصة للاستحواذ
عليها».

وبدا تأخذ الصبر وهو يضيف:

«لن أجادلك في هذا الأمر فهي مسألة بيني وبين كارلوس».

وتوقف هنيهة ثم حر كفيفه في سخرية وقال:

«أما بالنسبة لإيزابيلا فقد اختارت الحياة التي تريدها لنفسها وعليها أن
تعايش على هذا الأساس».

فلم تتالك نفسها وقالت له:

«وأحببتك أنت نفسك، وأنت تذكر كارلوس لأنه استطاع الفوز بها».

«كنت أكرهه قبل ذلك بوقت بعيد، وأنت لا تعرفين شيئاً عن هذا»
«أسرد لي القصة حتى أفهم»

فأخذ ريكاردو يتحدثها عن حياة الابتذال التي كان يجيها أبوه ورغم ذلك فإن أمه ظلت تحبه وأخذت تذبل شيئاً فشيئاً وحاملاً يغمر وشبابها يذوي من يوم لآخر حتى أصبحت تبدو أكبر من عمرها الحقيقي، وقال لها إنه يعتبر أياه السبب في بدهور حالتها على هذا النحو، فسألته عما منعها من أن تأخذ أيتها أي ريكاردو وترحل عن أبيه، فقال لها إنه ليس من السهل بالنسبة إلى المرأة الأرجنتينية أن تفعل هذا وأصاب قوله إن كارلوس جاء ليعيش في المنزل بعد مضي شهر واحد ليس إلا على وفاة أمه، وكان ذلك بتدبير من أبيه الذي راقه أن يجعل من أخيه غير الشقيق غريباً لريكاردو، وطلساً هذّب بعزمه على جعل كارلوس وريثه الوحيد.

ومضى ريكاردو قائلاً :

«ولا شك أن كارلوس ابنه فهو وأنا متشابهان في الشكل والسلوك. وقد بذل أبي وأخي غير الشقيق كل جهد مستطاع لحمل على ترك أرض مندوزا بشيئتي، حتى لا يمكن لأحد أن يدعي أنني حرمت من ميراثي الذي أستحقه، ولكنني أنا من جاني كنت مصعباً لأنني مشيئتها، فلو أترك مندوزا»
وتخيلت ليان أي نوع من الحياة كان يجيها ريكاردو ورثت لحاله وقالت له:

«لا أؤمك فلر كنت مكانك لتصرفت كما فعلت أنت»

«كنت ستفعلين هذا بكل تأكيد... وأنا اخترتك لتساعديني في الاحتفاظ بأرض مندوزا بسبب الروح التي تتحلين بها»
«ولأنك كنت يائساً وأوشك الوقت أن يفقد»

«هذا صحيح، ودفعني الخط إلى ملهى ريبوس في تلك الليلة...»

ثم نظر إلى وجهها وهو يتفحصها وقال لها:

«هل ماحكيته لك يساعدك على تفهم السبب الذي يجعل من الصعب أن أكون

سبباً يأتي فضل لكارلوس»

«خلاف بيتكيا عميق»

«ولكنك مازلت تعتقدين بضرورة قيامي بخطوات لإنهاء العناء»

«سأفعل تلك الخطوات في تغيير ما حدث» إن أباك هو الذي غرس روح العناء فيك، ولو ظللتا على ما أنتما فيه من عداوة، لكان معنى ذلك أن أباك انتصر، ليس كذلك»

نرد عليها في حنة :

«كلا أنه لم ينتصر بالمرّة فقد فزت بأرض مندوزا، وفاز كارلوس بإيزابيلا»
«ولم يكن ثمة ما يدعو إلى الشك في هذا فقد كان كل شيء واضحاً على وجه ريكاردو وقالت ليان في ألم:

«كارلوس يحب إيزابيلا، أنا واثقة من هذا، ربما في البداية كان يريد لها لنفسه مجرد أنك تريدها، لكن الأمر يختلف الآن»

تنظر ريكاردو إلى القلب وقد وضع يديه في جيبه وقال:

«سأفعل هذا من أجل إيزابيلا، غذا تنتقل إلى الجناح الآخر، أما الليلة فسوف أبيت معي هنا»
«ولكن رأسك...»

فقاطعها وهو يضحك ويقول:

«رأسي لن يسوّح حاله أريدك معي باليان فهل تجرّميني من هذه الرغبة؟»

وأدركت ليان أنه يريد لها معه لئلا يهرب من التفكير في إيزابيلا، الفتاة التي أحبها وفقدوها، الفتاة التي كان سيتزوجها لو لم يسرق أخوها قلبها. كانت تحس ببعض مشاعرة من قبل وهذا لن يحقق عنها الأثم الآن، ولكن ما الفرق؟ إن شيئاً لم يتغير، تستطيع أن تمنحه ما يحتاجه منها الآن بصفتها زوجته، وقالت له وهي تضحك إلى شيء معين:

«لن أحرملك أي شيء تريده، إن الوقت متأخر، أليس كذلك؟ أهل اطلب طعاماً»
«كلا سوف ننزل إلى الدار فنكل منا يحتاج الشراب»

وأتركت الأسييل الى أثنائه عن أي شيء يريد، فتلك هي طبيعته
وشخصيته، فهل تراها كانت تحبه لو اختلقت شخصيته عما هي عليه الآن؟ إن
طباعه هي جزء من نفسه، وهو الآن جزء منها.

١٢ - الحصار

فقد اعاد زوخو لكي يمضي فترة راحة للعلاج قد تطول، الا أن الناس
يدرو أكد لليان التي كان يساورها القلق عليه أنه سيصبح على ما يرام
خلال أيام قلائل وأن كل ما يحتاج اليه هو الراحة.

أما ديايلو فقد أحضره الى أرض مندووا أحد أقرب مزرعة ريخا، وبدأ
ديايلو وقد استعاد نشاطه وقوته من جديد. وجاء ريكاردو وأخذ يربط على
رأس الحصان الذي كان يتحرك في قلق كلما نطق ريكاردو بكلمات
الاسبانية وهو يتر يديه على ظهره. وكانت هناك بعض الجراح في طريقها
الى الشفاء في جنبه حيث سقط فوق الصخور، ومرت ريكاردو يديه على
قوائمه الأربعة وأطمأن الى سلامتها جميعها.

وقال ريكاردو لليان التي كانت ترقب ما يحدث:
«هيا تعالي لتحمي ديايلو، أريد أن أرى رد فعله ازاء أول سيدة تمسك بقيادته»
وقالت ليان لنفسها إنها ليست الأولى، ولكنها أطاعت ريكاردو وأخذت
تمسح بيدها على عنق ديايلو وكشفه وهو ينظر اليها نظرة تشكيك. وسألها
ريكاردو إذا كانت ترغب في محاولة امتطائه مرة أخرى، فهزت رأسها قائلة:
«لا أعتقد أنني أرغب في ذلك، فلما حدث بالأمس كان حالة خاصة، انه يفضل أن
يشعر بيديك أنت تلاصقان جسمه».

فاستم ريكاردو وأرسل ديايلو ليتم تثبيته في مربطه، وسأل ليان:
«هل شعرت بالآم في مناميك هذا الصباح؟»

«ليس بالدرجة التي كانتا تولاني بها من قبل، وأشكرك على اهتمامك بي»
فرد عليها بدعاية ساخرة.

«أريد أن أعرف منك لو كانت أصابتي من الخطورة بحيث اقتضى الأمر خلع الملابس، هل كنت تفضلين تركي أثرف حتى الموت على أن تعرضي نفسك لهذا المخرج»

«لا تسخر مني، فما كنت لأفعل ذلك أبداً»

فنظر إليها بشيء من الرفض والظن من ذراعها لكي تقترب منه وقال لها:
«أدخلت الراحة إل نفسي، أنت على حق، فما كان يجب أن أضايقك بكثرة الأسئلة والملاحظات، إن مستلكك سيوف يتغير ببطء الوقت»

فردت عليه باستخفاف متعمد:

«وطبعاً هذا سيحدث، كلما ألف منا الآخرون ألا ترى أن هذا يؤكد الأمر»
فرد عليها في حزم:

«لا أسمح لأزواجي بإظهار الأجزاء الحموية، سنظل زوجين لفترة طويلة يا صغوتي، وعليك تهيئة نفسك لهذا، وقد لا يكون كل منا قد وجد في ذلك غايته، ولكن علينا أن نستفيد من هذا أكبر استفادة، هل تأكدت من تغيير غرف النوم»
«ليس بعد»

«إذا ألهي واقفلي هذا الآن، أريد المرفة الملائم بها غرفة تغيير الملابس»

وأضاف في لهجة تهكمية متعمدة:

«ولكن ليس معنى ذلك أنني سأضي جزئاً طويلاً من وقتي فيها»

وقالت ليان لنفسها إذا كانت ستجيب ابناً ريكاردو فإن هذا الأمر سيكون تمرة الحب وأو كان هذا الحب من جانب واحد أي من جانبها هي، فهذا أفضل من لا شيء، وقد اعتادت أن تقول هذا لنفسها في الأيام التي تلت ذلك، والليلة ستبني أن هذا الحب هو من طرف واحد، ولا شك أن ريكاردو بما يبدونه نحوها إنما يحتاجها بلا تحفظ.

وبدأ جرح الرأس الذي أصيب به ريكاردو يلتئم وإن خلف ندية دائمة

كان يصقها ريكاردو في أوقات المرح بأنها بشابة هدية تذكارية، إل أن جاء يوم وجده يضع أصبعه على جرحه وفي عينيه نظرة قهت منها أن المرح سيظل يذكروه بما عليه من دين نحو أمهم.

إنها لا تستطيع أن تبعد عن تفكيرها النزاع القائم بين ريكاردو وكارلوس. هل سيظل أفراد الجانيين يعانون طوال حياتهم من القرية عن بعضهم رغم أنهم أقرب الجيران؟ وهل ستظل هي وإيزابيلا تنزاوران خلسة في أوقات صباغة بدلاً من أن تستطيعا التزاوج كما تفعل زوجتا الأخوين؟ وماذا سيحدث بالنسبة إلى أطفالهما؟ قد يصبحون جزءاً من هذا الوضع المليء بالشحناء الذي قد يستمر لعدة أجيال ما لم يتم اتخاذ شيء ما بهذا الشأن. ولكن كيف؟ لا يبدو أن هناك وسيلة تصبح لها أو لإيزابيلا التدخل الآن.

وفي أحد الأيام قامت إيزابيلا بزيارة مفاجئة لمنزل مندوزا بالسيارة عندما لم يكن ريكاردو موجوداً، وشعرت بالارتياح لأنها وجدت ليان وحدها، وقالت:

«جئت برغم أن هذا قد يشعرك غضب ريكاردو، إن كلا منا يحتاج إلى الأخرى يا ليان، إن لم يكن زوجانا يحتاجها الشعور نفسه»

وايستم وجهها الجميل وهي تنظر عن تناول القهوة وتطلب عصيراً بدلاً منها. وسألتها ليان فجأة ومشاعر الحب قهتها:

«أنت تتظنين مولوداً، إنني سعيدة جداً لك، ومتى موعد الولادة؟»

وبعد ثمانية أشهر ولكن هذا لم يتأكد طبيياً بعد، ورغم هذا فإننا نحن النساء نفهم مثل تلك الأشياء، ليس كذلك؟»

سليماً، وكيف يشعر كارلوس وهو يحس بأنه سيصبح أباً؟

إنه في قمة السعادة، إلا أن هناك أشياء تدور عليه ستطرح ولا يريد أن يفكر في عنها، ليان ما الذي ستفعله بشأن زوجتها؟ هل ستتركها بمضيان في حافاتهما؟ وماذا نحن فاعلتان؟ هل هناك مجال آخر للاختيار أماناً لقد تعايشا مع أحقادها لفترة طويلة ولن يصبح من السهل عليها أن يتصافيا عندما يطلب منها ذلك»

امراة بلا مخالفت

وتنهدت ايزابيلا وهي تقول:

«تلك الأحقاد غرسها أبوها الذي لم يحب أباً منها».

«أحقاً لم يحب أباً منها».

«طبعاً، أنظنين العكس».

فردت ليان في ترفة نائلة:

«ريكاردو يعتقد شيئاً مغالاً لهذا».

«انه غطلي»، فريكاردو ابنه الشرعي وهذا يجعله يشعر بنوع من الارتياح، أما

كارلوس فإنه لم يش متشأ، وليس هناك ما يرتبط به، أرايت اذاً كيف جعلها

أبوها يتصارعان كي يسبب لها التعاسة، كان رجلاً يجد متعته في تلك الأمور

وكان كل من الآخرين يظن أن أخاه هو الذي يلقي الخطوة من أبيه، وقد فوجيء

كارلوس كما فوجيء ريكاردو بشروط الوصية».

«ولكنه كان مستعداً لقبول تلك الشروط».

«أراد أن يثبت لريكاردو أنه من أسرة مندورا تماماً مثله، وكنت في غاية

الامتنان عندما جاء بك ريكاردو الى هنا كي تعمل على وضع نهاية لهذا كله،

برغم أن الأمر اقتضى مني وقتاً طويلاً كي أحمل كارلوس على امراك وجه

الحق في النزاع، وهو سعيد الآن بينه حياته في أرض ريخاء».

«ولكنه غير مستعد لقبول هذا لريكاردو».

«ريكاردو مستعد أن يذهب الى أبعد الحدود لتصديقه، ولكنها عبيدان».

ونظرت ايزابيلا الى وجه ليان وهي تسألها اذا كانت تستطيع أن تجد حلاً

لهذه المشكلة، وبعد فترة صمت فكرت خلالها ليان في أمر وجدت أنه يستحق

التجربة، قالت لايزابيلا:

«هناك حل قد يصلح، ولكنه يتطلب الكثير من الصبر».

«ما هو».

«هل سمعت من قبل عن لايستراثا».

«كلا».

كانت سيدة تعيش في العصر اليوناني القديم أصابها الضيق الشديد وهي ترى

زوجها يذهب كثيراً للحرب، فالتفت مع رفيقاتها على حرمان أزواجهن من

حقوقهم الزوجية، الى أن كف الأزواج آخر الأمر عن الانصياع لميولهم الحربية».

فضحكت ايزابيلا وهي تقول لها:

«كنت على حق عندما قلت إن الأمر سيحتاج الى الكثير من الصبر ان

كارلوس سينهار».

«وريكاردو أيضاً».

ونظرت كل منهما الى الأخرى تغالب الابتسامة ثم قالت ايزابيلا لليان

في رقة:

«انت تحبينه فعلاً، أليس كذلك؟ كانت تساورني الشكوك في هذا أول الأمر،

ولكن عندما رأيت مدى حقتك وأنت تطلين من كارلوس أن يجب المساعدة

ريكاردو المصاب كانت مضاعف أكثر من واضحة ومقنعة».

«أنا قصة طويلة، وقد بدأت بداية سيئة، حسناً، حاراك في هذا الاقتراح».

«فألت لها ايزابيلا في تردد».

«وهل نظنن أن هذه الطريقة مستحقة».

«لن نعرف هذا قبل أن نجرب».

«أنجزو على القيام بذلك، وكيف تبلغها به».

«ننضم معها من وراء الأبواب المغلقة، وعلينا أن نشترك معاً في هذا الأمر، إن

كنا ستقوم به فعلاً».

وفكرت ليان في أنها كلما تراخى في تنفيذ هذه الخطة، كلما أصبح من

الصعب تنفيذها، وهذا اقترحت على ايزابيلا أن تبدأ في التنفيذ الآن وسألها

عن الوقت الذي يعود فيه كارلوس الى البيت فأجابتها بأنه يعود أحياناً

لتناول الغداء، وسألها اذا أبلغت أبوها بالمكان الذي ستذهب اليه فأجابها بأنها

أبلغت أمها وطلبت منها الابقاء على هذا الأمر سرراً فقالت لها ليان:

«ولكنها ستضطر الى ابلغ كارلوس ان لم تعودي، وأعتقد أنه سيحضر الى

امراة بلا مخالب

هنا. وعندما يأتي ويلتقي بريكاردو فإننا سننسل ونتحصن داخل غرفة بها ما يكفينا من الطعام والشراب لمدة يومين».

«يومانا أنظنين أن الأمر سيتطلب كل هذه الفترة لكي يتفقا».

«أعتقد أن الأمر سيتطلب بعض الوقت لاقتناعها ولم يستطيعا إخراجنا من هنا قبل أن يتفقا. وستحتاج إلى التحلي بقوة الإرادة حتى تتمكن من المضي في خطتنا عندما تبدأ في تنفيذها».

فرفعت إيزابيلا حاجبها وسألتها:

«ولكن ماذا يحدث لو أنها حطت الباب أن كارلوس سيكون في حالة من الغضب تجعله على استعداد لفعل أي شيء».

فابتسم ليان قائلة:

«لا يمكنه أن يفجر غضبه مع من في مثل حالته».

فابتسم إيزابيلا ابتسامة اخاءت وجهها وقالت:

«وما أنني في فترة الحمل فلا يمكنني أن أكون مسؤولة عن تصرفاتي فالجميع يعرف أن الحمل يدفع إلى نزوات وتصرفات غريبة».

وأضافت قائلة في جدية:

«ولكنك لست حاملاً، وريكاردو سيضربك».

«عليه أن يصل إلى أولاً، وأن نتأكد من إغلاق الباب ويمكن أن نحقق الغرض بوضع كمية من الاثاث أمام الباب».

«وإذا اتفقا على إنهاء نزاعهما، ألن يملكها الغضب عندما نخرج اليها؟

فردت عليها ليان في ثقة:

«هذا أواجهه عندما يحين وقته».

ونظرت ليان في ساعتها وقالت:

«الساعة الآن الحادية عشرة والنصف وعلينا أن نتحرك قريباً رجع ريكاردو مبكراً. سأقوم بإعداد بعض الطعام الذي يكون بارداً مع الاسف إلى أن تتمكن من إيجاد موقد سهل الحمل».

فضحكت إيزابيلا فجأة وقالت:

«يجب أن نأخذ الأمور ببساطة لم أتصور أن تكون لي أخت مثلك على تلك الدرجة من الجرأة».

وقالت ليان لنفسها إنها قد تكون على درجة من الطيش وتلكها احساس غريب. فريكاردو سيدرك عندئذ أنه لم يحقق سيطرته الكاملة عليها بعد، إلا أنها وإن كانت تحبه لن تدع تلك العاطفة تستبد بها وتستعبد بها.

دهشت العاملات في المطبخ بسبب كمية الطعام الكبيرة التي طلبتها ليان .

ومن حسن الحظ أن إينيز لم ترد شيئاً منها، وطلبت ليان حمل هذا الطعام إلى

غرفتها السابقة مع كمية من زجاجات الماء. وأصبح لديها ما يحتاجه خلال فترة

الحصار. وقامت بتحسين باب الغرفة المغلق بتكوير كمية من الاثاث أمامه. أما

باب الشرفة فقد استغرق منها نصف ساعة لتحسينه. وجلست تقطعان الوقت

في تجاذب أطراف الحديث، وشعرت إيزابيلا بالغيرة من ليان وهي تحدثها

عن أوضاعها وصديقاتها خلال الفترة التي أمضتها في دار الأيتام. وقالت لليان

إنها لن تنأى عن اللعب مع مجموعة من الأطفال. فقالت لها ليان :

«ولكنك كنت تحضرين إلى أرض مندوزا».

«نعم كثيراً فقد كان أبي يأخذني معه عندما يذهب للعب الشطرنج مع والد

ريكاردو . ومن الغريب أنها كانا صديقين رغم الاختلاف الشديد بينهما.

وربما كان الشهور مندوزا لا يجد أي متعة مع رجل لا يستجيب للاستفزاز

من أي نوع، وقد اعتقد دائماً أن المشاجرات تحدث بين أشخاص لديهم حساسية

شديدة لما يتخيلون أنه اهانات مروجة اليهم».

فقالت لها ليان :

«هذه فلسفة».

فضحكت إيزابيلا .

وبعض الوقت بدأ حديثها يفقد تباطئه، وكانت إيزابيلا مستقلة على

السرير وليان جالسة على كرسي وهما تلتزمان الصمت عندما سمعتا أصوات

امرأة بلا مخالب

أناس يتحدثون في الفناء، واستطاعتنا تمييز صوت ريكاردو وإن لم نتيقن ماذا يقول. وسمعا وقع أقدام في الممر المؤدي الى الغرفة وصوت مقبض الباب يدور. وجاء صوت ريكاردو:

«ليان، هل أنت في الداخل؟»

ونظرت ليان الى إيزابيلا بدون أن تتحرك من مقعدها وقالت:

«نعم، نحن هنا أنا وإيزابيلا»

«افتحي الباب اذًا، وفي الحال»

«كلا، سنبقى هنا»

فأخذ يزمجر ويضرب الباب بقبضته وهو يطلب منها فتح الباب ولكنها أبلفتته. وقد احترت وجنتها في حين أخذت إيزابيلا تمحلق. بأنها لن تفتح الباب وأنها ستبقى هنا الى أن تلمس منه ومن كارلوس سبباً كافياً يقنعها بالخروج. فرد عليها ريكاردو في ثورة:

«سأقدم لك سبباً كافياً بدون كارلوس للخروج، وأمامك خمس ثوان للخروج قبل أن أقنعهم هذا الباب بكتفي»

وبعد مضي الخمس ثوان بدأ يضرب الباب بقدمه فتصدع ولكنه وهذه معجزة، لم يفتح. وأخذت ليان تنتظر الهجوم. وبدأ كارلوس ينادي إيزابيلا التي أوشكت أن تلين لولا أن تشجعت عندما نظرت اليها ليان. وردت ليان فطلبت التحدث الى ريكاردو الذي أبلفتته بأنها هي وإيزابيلا لن تستأنفا علاقاتهما الزوجية المعهودة مع زوجها الا اذا اتفق هو وكارلوس على نسيان الماضي والبدء في التصرف كرجال ناضجين.

وتحدثت إيزابيلا فساءلت كيف يمكنها أن تضع طفلها في بيئة لا يتبادل فيها الأب والعم كلمة طيبة وقالت، ان ليان كانت على حق عندما وصفتها بأنها كالأطفال، وأنها تضيف فتصفها بأنها يتعطشان للانتقام. ووضعت يدها على فمها وقد انزعجت مما قالته في حين اتسعت عينا ليان من الدهشة. وعندئذ تحدث كارلوس لإيزابيلا قائلاً:

«لم أكن أعلم أنك تكئين مثل هذا الشعور، أرجوك أن تفتحي الباب وتخرجي. وسوف نتحدث أنا وريكاردو وهذا وعد مني لك»

فايستت إيزابيلا ونظرت الى ليان ثم سألت ريكاردو اذا كان يرافق على هذا، فرد ريكاردو بعد برهة بأنه وكارلوس سوف يتحدثان سوياً وعندئذ أبعدت ليان قطع الأثاث عن الباب وفتحتته فسارع كارلوس بدخول الغرفة ليطمئن على زوجته حين قام ريكاردو بجذب ليان وحملها على الدخول الى الغرفة التي كان هو نفسه يشغلها من قبل وسأله:

«لماذا فعلت هذا، لقد كانت تلك فكرتك أليس كذلك؟»

فبالت ليان شفتيها وهي تحس بجفاف في حلقها وقالت:

«نعم، كانت فكرتي. وقد اقنعت إيزابيلا بهذا، هل كنت جاداً عندما وافقت على مناقشة كارلوس في أمرنا عكياً؟»

«لم يكن أمامي أي خيار آخر، ولم يكن أمام أحد منا أي خيار. إيزابيلا ليست في حالة تسمح بانثارها على النحو الذي حدث. وسوف أعاقبك لهذا السبب وحده»

فهرزت كتفيها باستخفاف قائلة:

«هيا، الفعل ما تشاء ان كان هذا يجلب لك الراحة، فسوف أحمل العقاب كنتاة ناضجة»

فرد عليها والشرر يتطاير من عينيه وقال:

«بل كأمرأة ناضجة»

فردت عليه في ترم:

«أرجوك أن تكف عن هذا، كانت فكرتي خاطئة اذًا، ولن تنفاسها أنت وكارلوس. وكان علي أن أدرك ان الوقت فات وان من المتعذر تحقيق هذا»

فقال لها في هدوء واثزان شديدين:

«وما الذي يهلك من هذا الأمر، ما الذي يعينك لو أصبحت أنا وكارلوس أصدقاء أو أعداء؟ هل كان هذا سيغير من العلاقة القائمة بيننا؟ وهل كان يجعلك تنظرين اليّ نظرة مختلفة، لدي زوجة فلماذا أحتاج الى أخ؛ انك

امراة بلا مخالب

ان ما شعرت به نحو إيزابيلا كان شيئاً لطيفاً وطيباً وكان يمكنه أن يؤدي الى الزواج أما ما أشعر به نحوك...

وأطرق هنيهة عندما لمس ازدياد يريق عينيها والدفء الذي يشع منها وأضاف:

«ان ما أشعر به نحوك يختلف باختلاف العاصفة عن السكون. انك تفضيبيني وتجعليني كالبحر الهائج وتثيرين حواسي ومشاعري ورغم كل هذا فإني ما زلت أريدك كما لم أزد من قبل امرأة أخرى في حياتي وما زلت أحبك بجنون على أمل أن يأتي اليوم الذي تبادليني فيه العاطفة نفسها»

وحرك يديه من وجهها الى كتفيها وضمها وهو يشعر بأن هذا الأمل قد لحق في حين وضعت ليان ذراعيها فوق عنقه... ثم سأله:

«متى عرفت أنك تحبني؟»

«وكيف لي أن أعرف؟»

«وقد ارادتك؟»

«ربما، فأرادتي تعزيتي لقد كبر من التوتر خلال الأسابيع الأخيرة»

«لم يكن هذا ملحوظاً... ومنذ لحظات قليلة كنت غاية في اليأس والتعاسة، أما الآن...»

فقاطعها وهو يبتسم ابتسامة لم تشهدها على شفه من قبل، فهي ابتسامة صافية مجردة من تعبيرات التهكم والسخرية التي كانت ترسم على شفثيه من قبل وسألها:

«والآن لماذا تشعرين يا حبيبتي؟»

«أشعر بالسعادة»

جاء وقت كنت أتوق فيه بشدة الى نزع مخالبك الحادة الصغيرة وانني سعيد الآن لأنني وجدت ذلك أمراً بالغ الصعوبة، فلولا روحك التي لا تنهر لالتفتت الى حياة التنوع، لقد جعلتني أفت دائماً على أطراف أصابعي»

«هذا لا يشعرني بالراحة أبداً»

تعطيني كل ما يحتاج اليه الرجل في حياته، ان لدينا أنا وأنت الكثير، وسيكون لدينا أكثر عندما تنجبين لي ابناً، أنت راضية عن نصيبك في الحياة»

فردت عليه وقد رفعت رأسها وقالت بلا انفعال:

«كلا، لست راضية، وهل تظن أن هذا هو كل المطلوب لبناء الزواج، أم تعتقد أن الانسجام الجسدي وحده يكفي؟ حسناً، قد يكون هذا هو رأيك لكن انا لي افكاري ايضاً»

وأضافت قائلة وقد قلقت الرغبة في تجريحه كما قام هو بتجريحها:

«سأنتني منذ مدة اذا كنت أحسد إيزابيلا للعناية التي تحظى بها من رجل مثل كارلوس، وطلبت منك عندئذ ألا تكون مضحكاً وكنت على حق في أن تغضب حينئذ لأنك لم تبد حتى ذلك الوقت مضحكاً بالرة، انني فعلاً كنت أحسد إيزابيلا عندئذ وما زلت أحسدها الآن لأن لديها رجلاً يعرف ما هو الحب، وسوف أحدثك عما يعني الحب بالنسبة اليك، لو أنك تزوجت من إيزابيلا لما عرفت هي معنى السعادة التي تتمتع بها الآن لأنك لا تعرف كيف تحب! أنت بارد المس وأناني ولا قلب لك... ابتعد عني واتركني وحدي»

فقال لها في رقة وهو يلمس وجهها بيديه ويرفعه وينظر اليها نظرات حركت قلبها:

«ليان، يا إلهي، ليان! هل تريدان أن نقول في انك تريدان حيي كما أريد حيك؟ هل هذا هو الهدف من كل ذلك؟»

كان الصمت يخيم في أرجاء المنزل أثناء فترة بعد الظهر يأخذ فيها الناس اغفاماً، وكان صوت ضربات قلبها هو الصوت الوحيد الذي تسمعه بوضوح. وهست ليان قائلة:

«لقد أبلغتني منذ أسبوع مضى أنك أحببت إيزابيلا»

«نعم، عرفتها وأحببتها منذ كنت طفلاً، ومن الطبيعي أنني رحبت بفكرة الزواج منها يوماً ما، ولم أبداً في ادراك وجود أنواع أخرى من الحب إلا بعد أن أخذها كارلوس مني واضطرنني الى البحث عن وسيلة للاحتفاظ بأرض مندوزا»

امراة بلا مخالب

فقال لها وعيناه تشعان ببريق مليء بالموءة:

«أستطيع أن أحقق لك الراحة، وما أحتاجه هو أنت بالصورة التي أنت عليها
أيتها المتفرقة الانكليزية، لدينا الكثير نتداركه، كأن أحضنك بين ذراعي وأنا
أعلم أن قلبك منعم بالحب.»

فردت عليه بشعور صادق:

«انتي أشاركك هذه الرغبة ولا تتصور كيف أتوق اليك، ولكننا لا نستطيع
تحقيق رغبتنا الآن، فكيف لنا أن نترك إيزابيلا و كارلوس في وقت كهذا؟»
«لقد نسيتها، ونسيت كل شيء عدانا.»

وجذبها اليه وعانقه، ثم تركها في تباطؤ وأسف واضح وقال لها:

«ان ما فعلته انت وإيزابيلا بعد ظهر اليوم يستحق اللوم ولكنه قد يستحق
التقدير أيضاً كنتما على حق فيما ذكرناه عنا أننا نميل الى الانتقام ونصرف
كالأطفال، فقد ظلمت أنا و كارلوس نجد متعتنا في كراهية كل منا الآخر، ولن
يكون من السهل على أي منا أن يد يد الصداقة، ولكنني أعتقد أنه يجب علينا
أن نحاول ذلك من أجلك أنت وإيزابيلا.»

«وهل ستحاولان الآن؟»

«خير البر عاجله، ولكن عندما نصبح وحدنا بعد ذلك، فإنني سأحب زوجتي، لدينا
ابن سوف نتجبه... أرجئني جديد، وأمل أن تكون له عينان مثل عيني أمه.»